

النشرة الأسبوعيةجويلية 2011**النص البشري في سوائه وإضطرابه**

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات جويلية 2011المجلد 2، الجزء 47-أسبوع 2 - جويلية 2011

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات جويلية 2011

الفهرس

- الجمعة 01-07-2011:
4015 1400- حوار/بريد الجمعة
- السبت 02-07-2011:
4030 1401- 12 - من الطفل الأطفال إلى
الواحد الأحد (3 من 4)
- الأحد 03-07-2011:
4032 1402- تشكيل وعى الشباب: والخيرة
الخلافة (2 من 2)
- الاثنين 04-07-2011:
4037 1403- عندما يتعري الإنسان (6 من 12)
- الثلاثاء 05-07-2011:
4051 1404- الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات
الأساسية (35)
- الإربعاء 06-07-2011:
4058 1405- الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات
الأساسية (36)
- الخميس 07-07-2011:
4064 1406- قراءة في كراسات التدريب
- الجمعة 08-07-2011:
4072 1407- حوار/بريد الجمعة
- السبت 09-07-2011:
4083 1408- يوم إيداعى الشخصى: (تحديث
"حكمة المجانين" 1979)
- الأحد 10-07-2011:
4085 1409- الاقتصاد أولاً، والإبداع دائماً
- الاثنين 11-07-2011:
4089 1410- على هامش ميدان التحرير
- الثلاثاء 12-07-2011:
4093 1411- عندما يتعري الإنسان (7 من 12)
- الإربعاء 13-07-2011:
1512 1412-...كفر الزيات - "جوجل"-
أمستردام (وبالعكس)
- الخميس 14-07-2011:
1514 1413- قراءة في كراسات التدريب

- الجمعة 2011-07-15 :
- السبت 2011-07-16 :
- الأحد 2011-07-17 :
- الاثنين 2011-07-18 :
- الثلاثاء 2011-07-19 :
- الإربعاء 2011-07-20 :
- الخميس 2011-07-21 :
- الجمعة 2011-07-22 :
- السبت 2011-07-23 :
- الأحد 2011-07-24 :
- الاثنين 2011-07-25 :
- الثلاثاء 2011-07-26 :
- الإربعاء 2011-07-27 :
- الخميس 2011-07-28 :
- الجمعة 2011-07-29 :
- السبت 2011-07-30 :
- الأحد 2011-07-31 :

الجمعة 08-07-2011

1407 - واربيري الجمعة

مقدمة :

بصراحة أنا أفقد جادة لما أتصور أنه يهم الطبيب النفسى والمعالج النفسى أساسا وبرغم قلة أو قدرة أو انعدام ذلك أو اصل فأنا قراءة النص البشرى، سواء فى المريض بعد أن تعرى أو ونحن نعيد ولادته، ولادتنا معا، أى فى الطبيب وهو يواكب مرضاه فيضطر أن يستبصر، أو حتى يتعرى مسئولا هو الآخر لصالح المعرفة والخير.

أول أمس فى آخر حلقة عن الحرية، قفزت إلى عدة أسئلة عن "حرية الطبيب النفسى"، وأيديولوجيته الخفية (الخائفة خريته غالبا) ومدى شغله فيها، وتأثيرها فى العملية العلاجية خاصة تلك التى تركز على مسيرة دفع النمو وتنشيطه للمريض، ومن ثم للطبيب، (إحياء ديالكتيك النمو) وتصورت أن الزملاء، خاصة الأصغر سوف يتوقفون عند ذلك كثيرا كما فعلت أنا، لكننى لم أجد أى تعليق ولو بالرفض أو بالتحذير، وقلت لنفسي هذا متوقع لأن النشرة التى تسألت فيها عن مساحة حرية الطبيب فى الممارسة كانت أول أمس فقط، ولم يمس وقت كاف يسمح بالتعليق، فرددت على نفسى قائلا: لكن هذه هى الحلقة الثالثة عشرة فى سلسلة كشف ماهية الحرية والصحة النفسية، ولم يصلنى ما أتوقع

لكننى أكمل ويبدو أنه ليس لى خيار.

يوم إبداعى الشخصى

(تحديث "حكمة الجانين" 1979)

رؤى ومقامات 2011

12 - من الطفل الأطفال إلى الواحد الأحد (3 من 4)

أ. محمد اسماعيل

وصلنى: كالعادة الكثير من هذه اليومية وفهمت معظمها، ولكن أكثر ما وصلنى هو أن الأطفال إنما يتربون من خلال موقفك

من الحياة .

فهل لك موقف يزين وجودك؟

د . يحيى:

أهلا يا محمد

ولكن يا ترى : لن توجه السؤال؟

ربما لنفسك

أو لي!!

هذا طيب.

أ . محمد اسماعيل

المقتطف (513): في القديم: كان التكاثر بعدد الأولاد أما الآن: فبدرجة بريقتهم .

التعليق: مش فاهم: كيف يكون التكاثر بدرجة البريق؟

وما هو مقياس البريق وكيف يكون؟

د . يحيى:

البريق يتجلى في التركيز على النجاح، والتفوق والنظافة الخارجية، والمهارات التنافسية، والجذب الاجتماعي، وتأكيد الرمز الطبقي... الخ

أ . محمد إسماعيل

برجاء توضيح هذه العبارة: أحيانا تكون أسماء التديل أول طريق الانشقاق.

كيف؟ ولماذا؟

د . يحيى:

لاحظت أثناء ممارستي - وعموما - أن كثيرا من لهم اسمان:

"الأصلي" و"التديل"، أو

"الرسمي" و"اسم الشهرة" أو

الاسم الذي اختاره الوالد والاسم الذي فضله الوالدة...،

في جميع هذه الأحوال كنت أجد سهولة الانشقاق Dissociation، وتصورت أن ذلك نتيجة الرسائل التي وصلت الطفل من اختلاف الأهل والمحيطين: ليس فقط حول الاسم وإنما حول كل ما يشير إليه الاسم حتى تصل الرسائل مزدوجة باستمرار فيصبح الطفل جاهزا للانشقاق، في أي سن (إن لم يكتف بالتفكيك الصحي أثناء النوم بالحلم).

أ. أحمد المنشاوي

المقتطف: إذا كان هدفك أن يكون أطفالك سعداء "فقط"، فهين لهم جنة بعيدا عن دنيانا المؤلمة، فإذا عجزت.. فارجع البصر كرتين وسوف تجد أنك لاتعلمهم بتدليك إياهم إلا 'الأنانية'.. الغبية، حتى لو أسميتها السعادة.

التعليق: أنا في رأي أن سعادة الابناء الحقيقية تكمن في مدى شعورهم بالأمان، وهذا دور مهم للأباء غالباً في وقتنا هذا تظهر الأنانية فنفتقد الأمان.

د. يحيى:

عندك حق.

أ. نادية حامد

أتفق مع حضرتك تماماً في أنه لا يجب أن يكون هدفنا هو سعادة أطفالنا فقط بل يجب أن يكون بجانب هذا خبرات ومشاعر أخرى توصل رسائل مختلفة بس زى ما يكون الاهتمام بيكون بجرعة أكبر من تحقيق سعادتهم.

د. يحيى:

هذا صحيح

ويا ليت الأهل يعرفون معنى السعادة، أنت تعرفين يا نادية أننى لا أستعمل كلمة السعادة قليلا أو كثيرا، أنا أفرح لفرحهم، وأحاول أن أحزن معهم، ولا أخاف عليهم لا من هذا ولا من ذاك، وإنما أخاف من تشكيلنا لهم بما يفرحنا نحن، وبما يجنبنا نحن الألم والهم، وليس كما خلقهم الله.

د. على طرخان

المقتطف: لاتخذع الأولاد بتلقينهم ما لا تعرف.. فإن فعلت فكن تلميذاً معهم .. لتجتمعوا جميعا إليكم، وتسعون جنفاً إليه.

التعليق: نعلمهم ونتعلم منهم وبهم ومن خلالنا.

د. يحيى:

يالايت.

د. على طرخان

المقتطف: لن تعوض أولادك بأن تجببهم ما "جرى لك".

إسمح لهم بفرصهم بعيدا عن تصورات مآسيك الخاصة.

التعليق: على قدر ما أصدق أن التجربة هي أفضل وسيلة للتعلم إلا أن النصيحة قد توفر الكثير من الألم والأحزان.

د. يحيى:

لا أظن

ومع ذلك فأنا لا أرفض النصيحة بشكل مطلق، وإنما أفضل أن تصل بشكل غير مباشر، وليست بالألفاظ ما أمكن،

النصيحة تكون حيلة وقد تأتي بعكس المراد منها إذا تكررت دون الانتباه إلى أنها لم تنفع في المرات السابقة.

ثم لماذا تحرص على أن توفر النصيحة الكثير من الآلام والأحزان وهي جزء لا يتجزأ من الحضور البشري الخلاق، ما أخاف منه هو أننا نوفر أحزاننا نحن وآماننا على حساب فرص إطلاق طبيعة أولادنا كما هي إلى ما هي.

د. على طرخان

المقتطف: بدلا من إضاعة الوقت في تجنيبهم ما جرى لك، تحذّر الآن "أمامهم" ما يجري لك.. تنتصر.. ويعرف أولادك معنى القدرة.

التعليق: أحيانا يكون التجنب اسلم وأسهل مما قد ينتج عن المواجهة.

د. يحيى:

فهل معنى ذلك أن نرضى بالأسهل والأسلم على حساب الأصدق والأنفع؟

د. على طرخان

المقتطف: إذا كان هدفك أن يكون أطفالك سعداء "فقط"، فهين لهم جنة بعيدا عن دنيانا المؤلمة، فإذا عجزت.. فارجع البصر كرتين وسوف تجد أنك لاتعلمهم بتدليك إياهم إلا 'الأنانية'.. الغبية، حتى لو أسميتها السعادة.

التعليق: أحيانا تكون الأنانية هي وسيلة لحماية النفس من أنانية الغير.

د. يحيى:

أحيانا.

كتاب جديد (قديم): عندما يتعري الإنسان (5 من 12)

"دروس للناس: في الطب النفسي"

الشعلة والحريق

د. ميلاد خليفة

مازلت أستمتع بنشرات هذا الكتاب، إن ما أقرأه هو بمثابة عملية تقشير لأشياء كثيرة بداخلي، وتجديد للذهن،

وحركة للحياة الراكده بداخلي ولست أملك من الألفاظ ما يستطع أن يعبر عما يصل بداخلي، بل اسمح لي أن أفعل مثلما فعلت سابقا بذكر بعض المقتطفات التي أعجبتني دون تعليق مني والحق أنني كنت أريد أن أجعل المقال كله هو المقتطف لروعته

مقتطفات

- الموت ينتهى إلى رماد نقى جاف - أما الجنون فهو موت عفن كريه

- والفطرة هى الجمال والسهولة والخرية والحق والقوة والحب فى آن.

- اذن- فأنت لا تعرف معنى كلمة "مسئول" لو عرفتها ما وصفت نفسك بها.

- احتفظت بالإيمان وكفرت بالكهنوت - حافظت على صلة الانسان بأصل الوجود ورفضت أوامر القيادات الفارغة الجوفاء

- كيف يصبح الدين النابض بالحب والتسامح هو هو طاقة الخقد والقسوة والترقب؟ لماذا يفعل الناس بأنفسهم وبعثقتهم هكذا؟

- ألا نينسك فى حياتك وآمالك حين نشغل ونستسلم؟

ان ما حافظ على ايمان هذا هو قدرة الانسان الخارقه أن يجمع شتات نفسه رغم كل شئ وبعد كل شئ.

- المرض يصبح نعمة حين تخرج منه أصلب عودا، واقدر على الاستمرار

- بل بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أدبت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك ليخطو هو أيضا نحو الغد، وهكذا

- الكيمياء تهدئ الألم وتحافظ على قوة الجمره وان خفت بريقه مؤقتا، ثم تستمر

- والانسان يلجأ إلى السيطرة والقوة وإلى العلم وإلى كل ما يغريه بالتفوق ولكنه لا يصل إلى جوهر الاشياء إلا بالصدق والسعى والكدح إلى الحق.

د. يحيى:

أشكرك يا ميلاد

لم أكن أعرف أن كل هذا يمكن أن يأتى فى نص روائى، أو يبدو ذلك

أعتقد أن هذا يضعف جرعة الإبداع فيه، لكنه قد يزيد جرعة الفائدة

وفي كل خير.

تعليقات الفيس بوك

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (34)

الصحة النفسية (27)

ماهية الحرية، والصحة النفسية (11)

2011-6-29

Anti-corruption Citizen

إذا كان الثبات على المبدأ هو ضد الحرية فكيف ستكون العلاقة بين الأديان (وهي ثوابت) والحرية؟

د . يحيى:

هذا هو التحدي الرائع الذي يقربنا إلى الله بقدر ما نكدح إليه بصدق وموضوعية، ويظل الثبات حتى الجمود هو ضد السعى والإبداع إلى وجه الحق الممتد ليسع السماوات والأرض إلى ما بعد المطلق.

Anti-corruption Citizen

لماذا لا تعتبر الديمقراطية شكل من أشكال الحرية في التعامل بين الحاكم والمحكومين؟

د . يحيى:

أنا اعتبرها كذلك، لكن مرغما

مرغما لأن كل بدائلها فيما يتعلق بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم حتى الآن ألعن منها.

وربنا يسهل ويصيرنا حتى نجد حلا.

Anti-corruption Citizen

ما الفرق بين الحرية والتمرد (على الدين أو العادات و التقاليد مثلا)؟

د . يحيى:

هو الفرق بين الإبداع والتوقف عند مرحلة الفوضى والتفكيك في مسيرة السعى والإيمان والإبداع.

Anti-corruption Citizen

أنا أعتقد أن الانسان حر و لكن في إطار منهج الله و ليس في إطار منهج بشري! هذا مع تحياتي لأستاذنا الدكتور الرخاوي.

د. يحيى:

هذا صحيح

وعلينا أن نتذكر أن منهج الله هو المنهج المفتوح
النهائية، والمليء بالكبح والرضا والسعى والاجتهاد
للأسف كلمة "المنهج" أصبحت حكرا على فئات سلطوية، ومع
احترامي لها، فهي أعجز من أن تقوم بمسئولية هذه الأمانة
الهائلة وحدها.

Fayrooz Abdo

انت تتناقض نفسك: اما الخريه أو المنهج

د. يحيى:

يجوز

لكن عليك أولاً أن تُحددى ماذا تقصدين "بالحرية"، وماذا
تقصدين "بالمنهج"
أنا عجزت عن تعريف شامل للحرية لو راجعت العشر نشرات
الأخيرة عنها
أما المنهج فهو الأساس الذى نطلق منه، وهو ليس قفصا
نُحبس فيه،
وحين نطلق مغامرين منه وبه نعود إليه فيتحوّر معنا،
وهكذا وهكذا
كل هذا جدير بأن ينفى هذا الاستقطاب الذى جاء فى
تعليقك "إما الحرية وإما المنهج".

Anti-corruption Citizen

معظم تعليقي هو أسئلة أ طرحها على أ.د. / الرخاوي.
معنى كلامك أن الحرية تعني عدم الالتزام بأى منهج، و هذا
يعني أن الحرية هي الفوضى!!

د. يحيى:

طبعا لا، برجاء قراءة ردى السابق

عدم الإلتزام بمنهج هو منهج مهلهل فى ذاته

منهج الحرية الحقيقية التى لا أعرف لها تعريفا حتى الآن هو
أصعب المناهج وأبعدها عن القياس إلا بقوانين البقاء!! ربما.

يوم إبداعى الشخصى : رؤى ومقامات 2011

(تحديث "حكمة المجانين" 1979)

12- من الطفل الأطفال إلى الواحد الأحد (3 من 4)

Anti-corruption Citizen

حكمة رائعة مكتوبة بأسلوب أدبي رفيع ، و أنا أهديها لكل أب و أم يعتقدان أن مهمتهما في الحياة هي فقط توفير حياة لأولادهما!

د . يحيى:

شكراً.

Waleed Elshiref

The meds you give me was terrible, i forgive you

د . يحيى:

لم أفهم

لعله خير

يبدو أنه لابد أن أحسن إنجليزيتي

محمد حسين مشرف مشرف

بالفعل هذا ما يجب أن يفعله الوالدين

د . يحيى:

ياليت.

Heba Metwally

جميله جدا يادكتور

د . يحيى:

أنت الأطيب والأكرم.

Gehan Ismail

حكمة صحيحة جدا ياد. يحيى ومعانيها هائلة بس ياريت الناس تفهم كدة بدل ما بيوفروا الاكل والشرب ويسيبوا الاطفال من غير توجيه كدة ويبقى الناتج رجال وسيدات المستقبل بلا اخلاق

د . يحيى:

وياليت التوجيه يكون بما نفعل وليس فقط بما نقول، لأنه في كثير من الأحيان يكون الكلام مناقضا للفعل.

Mahmoud AbuZeid

هذه الكلمات هي منهج التربية الدينية السليم والطريق الامثل لبناء الاجيا

د . يحيى:

على شرط ألا يعين أعمامنا الشيوخ الأفاضل أوصياء طول الوقت على إبداع استلهامات الوحي، فيحتكرون بناء الأجيال بما يتصورنه عن ما يسمى التربية الدينية،

أكثر الله خیرهم وخیر كل من يضيف ما يؤكد احترامنا لما خلقنا الله به، وهدانا وإياهم إلى فتح الأبواب إليه.

Moataz Abou Abd Alla

أيام صعبة

القرار فيها اما يعلى واما ينسى

يعلى من العلو

وينسى من النسيان

يعلى أمة أو ينسينا الامة

يعلى من أنسان او ينسينا الانسان

د . يحيى:

لم أفهم جيدا

عذرا

لكننى أوافقك أنها أيام صعبة.

Karam Zohny

رای جرئ واسلوب يحظى بالقبول ومتمكن في تخصصه وكثير وكثير - حق وليس نفاق

د . يحيى:

الحمد لله

والشكر لك.

تعليقات البريد المباشرة من الموقع

حوار بريد الجمعة

محمد أحمد الرخاوي July 1, 2011

قراءة في النص البشرى في سوائه واضطرابه

طبق الأمل

طفلة حبت

لم تتلوث

.... الخ

د . يحيى:

(أعتذر مرة أخرى عن إكمال نشر هذا "النص" الجديد يا حمد حتى نجد سبيلا يجمعه مع مثله في صفحة غير البريد)

لكنني أنتهز الفرصة لأقول لك عموما أنه نص مختلف، خلا من الأجدية المعوقة لك مثل: "الضرورة"، و"الديالكتيك" وما شابه

أشكرك أنك انتبهت إلى ذلك

أما عن النص ففيه صدق وبراءة،

لكنني أحذرك من المغالاة في تصور أن الطفلة هي بكل هذا النقاء والرقّة،

وربما ينفك - إذا شئت- أن تقرأ النص المنشور هنا سابقا بعنوان "في هجاء البراءة" وأعتقد أنك قرأته فقد نشر سالفاً على ما أذكر.

هدى احمد محمد July 2, 2011

المقصود ان حرية الانسان ستكون في الاخره وليس الدنيا فكلما اقترب من الحق: أحقق قدرا من الحريره الي ان يكتمل في الاخره

د . يحيى:

أعتقد ذلك،

ولكن هل تسمح أن أبلغك فرضا وصلني مؤخرا، وهو احتمال طيب يقول أن الآخرة هي امتداد طبيعي للعالم، (ليس بالضرورة للحياة الدنيا) والحمد لله.

تحديث "حكمة الجانين" 1979:

من الطفل الأطفال إلى الواحد الأحد 3 من 4

رويذا الصديق July 1, 2011

أما الآن: فبدرجة بريقهم

عندك حق يا دكتور هوا فعلا كدا

بس ليه المفهوم دا اتغير الاهتمام بماذا يكونوا وليس بعددهم

د . يحيى:

لأن الدنيا تغيرت، وتغير

إلى أحسن
وإلى أسوأ
وعلينا أن نختار إلى أي فريق ننضم .

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية
ماهية الحرية، والصحة النفسية 12

طلعت مطر 4, 2011 July

كلام رائع يدل على حالة صاحبه وموقعه من الحالات الخمس. وبيدو إن حالة الخيرة الخلافة هي الأقرب للصحة النفسية بالفهوم التطوري، وهي أكثرها مناعة من التفسخ وأكثرها قبولاً للاحر، أكثر من الحالة العادية أو حالة الابداع ولكنها أيضاً أكثرها نصيباً من الألم في موقفها من الحرية

د . يحيى:

أهلاً طلعت

أخيراً حنّ على صديق وعلقّ على ما أكتب في هذه المسائل المشكّلة فعلاً (أرجو يا طلعت أن تقرأ مقدمة البريد اليوم) لكن أرجو يا إبنّي ألا تنسّ أن الحرية الخلافة هي إحدى حالات الوجود، ولا ينبغي أن تستمر مهما بدت هي الأهم والأكثر ترجيحاً لحرية النمو إلا في حدود طورها فقط لتتبادل مع ما يكملها بلا توقف.

ثم لاحظ يا طلعت أنني أركز في المرحلة الحالية على أن أبين كيف أن الصحة النفسية (وغير النفسية) هي في العمل على قبول التناوب بين الحالات الثلاث طول الوقت على أن يكون التناوب هو لصالح حملة الحالات الثلاث معاً، فنحن نحتاجها جميعاً حتى لا نضطر للحالتين الأخريتين "فرط العادية" أو "الجنون".

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية
ماهية الحرية، والصحة النفسية 13

هدى احمد محمد 6, 2011 July

إذا اختلف تعريف ماهية الانسان من مدرسه الي اخري فما اصعب مهمة الطبيب المعالج فالمطلوب هنا الطبيب الفيلسوف الذي امتلك مزيداً من الخريه لفهم ذات الانسان وهناتصبح الحكمه وما اصعب ذلك فمن اوتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً

د . يحيى:

بصراحة يا هدى هذا ما أدعو الله أن نكونه، دون أن نسميه فلسفة حتى لا نخافوا، مع أنني لم أتعرف على فعل الفلسفة إلا من تعرى المرضى وأنا معهم، ومن أسئلة الأطفال. شكراً.

السبت 09-07-2011

1408 - يوم إبداعى الشخصى: (تحديث "حكمة المجانين" 1979)

رؤى ومقامات 2011

12 - من الطفل الأطفال إلى الواحد الأحد (4 من 4)

(517)

إذا لم تر هذه الكلمات فى نفسك فقد تطل عليك فى أولادك،
وإذا لم ترها فى أولادك، فابحث عنها داخلك.

(518)

لا تقتل الطفل فىك، ولكن لا تستلم له إلا لتتعرف عليه
.. ثم لينم بعد ذلك معك، وبك، وبهم .

(519)

ما أقبح منظرى بعد الخمسين، وعيالك ينهشون لحمك،
ويتقززون منك، وأنت تبيع شرفك ... وتدعى أنك إنما تفعل
ذلك لتؤمنهم،

يا خيبتك البليغة .

(520)

ما أغى تبريرى لاستمرار عماك وسعارك بأن أولادك لا
يعرفون ما تعرف،

فإذا أتقنت عمل الحصل الأمين، وضجروا هم من تلكك فى
تسليم مستحقاتهم بسرعة، فلا تحزن إذا انتظروا موتك
للاستغناء عن خدماتك.

(521)

لو رأيت أولادك وهم يخرجون ألسنتهم إذ تدعى أنك بسرقتك
الآخرين إنما تفعل ذلك من أجلهم، لكففت عن خداع نفسك هكذا .

(522)

لا يمكن أن تعرف كيف ينمو الطفل إلا إذا أتقنت برنامج
العودة إلى طفلك فىك، ثم النضج، ثم العودة، ثم النضج، وربنا
معك إذا كنت معه .

(523)

لا يمكن أن يحل الأطفال إشكال الضياع القائم والمستقبل الغامض، إلا إذا اضطروك أنت أولاً لإعادة النظر قبل فوات الأوان، الآن وليس بعد .

(524)

كلما سمعتُ الحديث عن براءة الأطفال تذكرت منظر صغار الققط وهي تأكل صغار الفئران .

(525)

يبدو أن الأمهات لم تنس أن أصلها سمكة، وهذا ما قد يفسر نتائج الجراحات النفسية الحديثة التي تستخرج من جوف الأمهات صغار الأسماك طبقة بعد طبقة .

(526)

حُرِّم أطفال العصر الحديث من "حنان المنع"، تحت شعار "حرية الترعرع"، فكانت النتيجة "رخاوة الضياع".

(527)

كلما سمعت حديثاً عن رعاية الأطفال، وحماية الأطفال، وانطلاق الأطفال، أشفتت عليهم من غبائنا.

(528)

يستحيل أن نعلم الطفل لغة لا نتقنها نحن.

(529)

إذا أحسنا الصنع فلنتعلم من الطفل بقدر ما نحاول تعليمه دون ادعاء لأستاذية خادعة.

لو سمحت: تذكر أنك تتعلم من الطبيعة الفجة ومن الحيوان الأبكم أيضاً.

1409-الاقتصاد أولا، والإبداع دائما

تعتة الوفد

"هل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟" وقياسا عليه أقول "وهل يصلح "الثوار" ما أفسد القهر؟ الإجابة عن السؤال الأول هي النفى المبدئي، للتنبيه على تجنب الخلول التسكينية وإعطاء فرصة للوقت (حتى في التطبيب النفسى). أما الإجابة على السؤال الثانى فهي بالإيجاب إذا أحسنا ترتيب الأولويات، وأيضا إذا احترمنا عامل الزمن، وملأناه بما ينفع، فتكون ثورة حقيقية، نحميها من القراصنة والإجهاض.

ليكن الدستور "أولا" أو "ثانيا" أو "أخيرا"، ليست هذه هي القضية، ولا ينبغى أن تكون، لأن لمن "على نفسه بصيرة"، يعرف أنه مهما ألقى معاذيره، فهو أدرى بما يعمل كما علمنا رب العالمين. التركيز على الوقوف عند الشكل هكذا يبرره حذرهم من أن يُشتعملوا كمجرد أدوات لتحقيق النتيجة المرسوم لها، وهم يرجحون الهدف من وراء هذا الإصرار على ترتيب مسبق لغرض معين، ليكن، لكن ذلك لا يبرر التوقف عند هذه المرحلة، لأنه لو امتد بهم البصر قليلا، لوجدوا أن الديمقراطية جاهزة قادرة على ما تشاء وقتما تشاء حتى لو جاء الدستور "أولا" طبق الأصل كما يريد المطالبون بذلك، فإن الفريق الآخر لن يعدم، أن يحقق ما يريد لاحقا، وبالقانون، وبالدستور الجديد.

لقد آن الأوان أن نعمل على ترتيب أولوياتنا الحقيقية، حكومة وشعبا، بشكل مسئول وعملى، نحن الآن في مواجهة أزمات "بقاء" و"تثوير" وتحديات "وجود"، الثورة لا تكون ثورة إلا إذا واجهت مسئوليتها الممتدة إلى عقود أو قرون، كل ما جرى حتى الآن هو ترتيب أوراق لبناء دولة، تتيح للناس المصريين (فكل الناس) بناء حضارة جديدة قادرة على أن تسهم في بناء الإنسان الحديث المهذب بالفناء بتمصرفات قوى عالمية ومحلية لا تنظر إلا لموقع أقدامها، حيث تراكم أكوام المال المفرغ من توظيفه لصالح الناس، وهو يعلو في أمواج هادرة تكاد تصبح طوفانا سوف يغرق الأقرب إليه فالأقرب!!

بعد أكثر من مائة يوم على البداية، علينا أن نسارع فورا ومن كل موقع، وبأى ترتيب، أولا وثانيا وثالثا، إلى

"بناء دولة" (قضاء عادل، وشرطة مسئولة، وجيش قادر، وإبداع متجدد، وعلاقة بالطبيعة والمطلق إلى وجه الحق تعالى) وبناء أمة (احترام شامل، وفرص متساوية، وكرامة محفوظة وتقييم موضوعي، وتكافل المختلفين)، لتكون ثورة يحكى عنها التاريخ بأكثر من التصفيق، وأبلغ من حوارات التوك شو من مدرجات المتفرجين.

مرور الوقت ونحن نتحرك في الهوامش "حلك سر" لا يفيد حتى في الوفاء بمتطلبات مستوى الضرورة"، وهو الذى ينبغى أن نوفره حتى نتمكن من الانتقال إلى مستوى "الحرية"، هذا هو الترتيب الأول بالعناية. ليس معنى هذا أن نتنازل عن الحرية ولو مؤقتاً، فكفانا تنازلات، لكن معناه أن علينا أن نعيش أولاً، ثم نكون بشرا.

لا شك أن هناك مبررا للشك في سوء النوايا، وفي نفس الوقت توجد مبررات للعشم في حسنهما، فكل فريق يحرص على اختيار فرص أفضل في اللعب، وهو بحسب خطواته بما يحقق أهدافه، لكن لاينبغى أن يختص بهذا الحق على فريق دون الآخر، من هنا جاءت مشروعية إثارة النقاش حول الوسيلة التى توصل هذا إلى مأربه دون ذلك، لكن علينا أن نتذكر نموذج دور الشطرنج وأنه ليس المهم من الذى ينقل النقلة الأولى، وإنما المهم من الذى ينهى الدور لصالحه.

دعونا نفترض أن هذه الحملة الشبابية الصفوتيه التنويرية المليئة بالحماس والمنطق قد نجحت فعلا أن تقدم الدستور على الانتخابات، لكن يظل الدستور الذى أتى "أولاً" هو نتاج جهد لجنة تسمى "لجنة إعداد الدستور" التى قد لا تختلف كثيراً عن لجنة "تعديل الدستور" سابقاً، فنحن لا نعرف هل تعلم المسئولون من تشكيل اللجنة الأولى طريقة افضل لتشكيل هذه اللجنة المقترحة أم لا، ومع ذلك لنفترض أن هذه اللجنة جاءت ممثلة لعموم الشعب المصرى وكفائه، (لست أدري كيف؟ بالتعيين؟ أم نعمل استفتاء على أعضائها قبل تشكيلها؟ أم ماذا؟) فنحن لن نستورد أعضاء اللجنة من الأمريكيين القتلّة صانعى ديمقراطيات التصدير، ولا من الصين (مع أنهم قادرون على تصدير ديمقراطية أرخص سعرا لكن غالباً أسرع تلفاً)، هذه اللجنة الجديدة لن تكون إلا لجنة جديدة، لا أكثر، ومهما توسعنا في انتقاء أعضائها، ومهما تنوعت هويات ممثلينا فيها، ومهما حرص أعضاؤها وتحفظوا وتجادلوا وزادوا وأعادوا، فإن رؤيتهم لن تتجاوز مرحلة نضجنا السياسى الراهن، وهذا وضع طبيعى، فالأمر في نهاية النهاية يرجع إلى وعى عامة الناس، وعامة ناسنا لم يتعودوا إلا على حكم بوليسى قامع، أو حكم جيشى والدئ مجتهد، يخطئ كثيراً ويميب أحياناً، لأن عمله الأساسى هو الدفاع عن الحدود وليس السياسة، هذا المستوى السياسى المتواضع الذى يعيشه أغلبنا، وقد اعتاد على التبعية وعلى استرخاء التفكير، هو الذى سيأتى لنا بمن يثللنا في الانتخابات النيابية التالية حتى لو جاء الدستور أولاً، ومهما بلغ إحكام مواد

هذا الدستور (أولاً)، فإن مجلس الشعب القادم "ثانياً" حين يأتي عليه الدور لينقل نقلته على رقعة الشطرنج، أن يمارس حقه في أن يرقى "البيدق" (عسكري الشطرنج) إلى "فرز" (وزير أو ملكة)، ما دام استطاع أن يقطع رقعة الشطرنج من أولها إلى آخرها سليماً، بمعنى: إن من حق مجلس الشعب الجديد الذي جاء بعد وضع الدستور، وعلى أساسه، أن يقترح تعديلاً للدستور الذي أتى أولاً، حتى لو اضطره ذلك إلى أن يجرى استفتاءً جديداً، (نحن وراءنا ماذا؟) وساعتها سوف يصبح الدستور ثالثاً، والأرجح أن هذا الاستفتاء الجديد، لن يختلف عن سابقه، أو سابقيه، وهذا المجلس الذي أتى "ثانياً" يعلم جيداً أنه سوف يتم الاستفتاء ثالثاً، ليس على تعديل الدستور الذي جاء أولاً، وإنما على "بيع" إلغاء المادة الثانية أولاً، ثم على الدستور أخيراً، وهذا ليس ذنب المادة نفسها، فليس فيها ما يعوق حركة أى إصلاح أو تحول دون إبداع، ولكنها حين تستعمل من الظاهر، لتلتوى بفعل فاعل، وتخدم مالا تعنيه ألفاظها، فإنه يتحقق من خلال ذلك ما تحقق للنميرى فالبشير للحصول على حفنة أصوات انتخابية كانت هى السبب في نهاية النهاية بأن ينفصل جنوب السودان بالسلامة، حين يحدث ذلك تكون الكارثة.

ليس معنى هذا أننا لسنا أهلاً للديمقراطية (كما يعايرونا)، فديمقراطيتهم أحيث وأخطر لأنها تقيم دولة عولمية دينية حديثة تحت أسماء معاصرة رشيقة حين يفرضون عليهم - وعلينا- هذا الدين "العولمي الجديد" وهم يعينون أنبياءه من سدنة العنصرية وحوارئي القوى المالية الكانيبالية (أكلة لحوم البشر cannibalism) تحت اسم الديمقراطية.

الأسئلة الأولى بالطرح الآن هى أشمل وأصعب، وهى عن امتداد وتأزر مسئولية ثورات الإنسان المعاصر في كل مكان، تلك المسئولية التي تتجاوز أسئلة ومطالبات ميدان التحرير، فهى تتجاوز حدود مصر إلى كل العالم، الذى كنا ومازلنا دائماً جزءاً منه، رواداً ومساهمين.

العالم الآن يتعرض لأخطر تخطيط يهدد بفناء هذا الجنس العظيم المسمى "البشر"، وعلينا أن نوفر إبداع ووقت وجهد كل أفراد وجماعات وشعوب هذا النوع الرائع من الأحياء، ليسخروها تلقائياً للحفاظ على النوع وعلى الحياة، وهذا يتطلب ألا يقتصر تفكيرنا وتفسيرنا على المسائل والمشاكل المحلية، إذن لا بد أن يمتد تفسيرنا ليفحص موقعنا من هذا المخطط العولمي المدمر للعالم الذى نحن جزء منه.

أغلب البشر الآن معرضون لألعاب إعلامية وتحركات اقتصادية مالية عالمية خبيثة تعرض نوعنا كله للهلاك، وكل هذا الجارى على الناحيتين ليس إلا أعراض مخاطر معركة التهديد بالانقراض في مقابل مقاومتها: الحروب الاستباقية، والإبادة العرقية، والثورات الزائفية، على ناحية، في مقابل الثورات الحقيقية والإبداع التطورى وتكافل الشعوب، على الناحية الأخرى، مع التذكير بأن المعارك تحتد وتصبح أخطر وأسرع حين يستعمل كل من الفريقين أحدث التكنولوجيا لتحقيق أغراضه.

ليكن الدستور أولاً، ولتأتِ الانتخابات لاحقاً، أو يتعدل الدستور ثانياً، أو العكس، لكن تظل مسؤوليتنا في نهاية النهاية، أن يصلح "الثوار ما افسد القهر"، وأن يظل الاقتصاد أولاً والإبداع دائماً هما الغاية والوسيلة معاً طول الوقت.

ولهذا حديث آخر.

الإثنين 11-07-2011

1410- على هامش ميدان التحرير

قبل الحوار/ القصة

"هذه القصة خاصة بالموقع، وقد عدلت عن نشرها بالصحف السيارة، تجنباً لسوء الفهم!"

قالت البنت لأخيها: لكنه يريد أن يتزوجني

قال أخوها: من هو؟

قالت: صديقك الذي عرّفتني عليه

قال: أنا عرفتك على كثيرين، من منهم؟

قالت: الذي يعقص شعره خلف رأسه

قال: لكنني لا أحبه

قالت: وأنت مالك؟ هل انت الذي سوف تتزوجه؟

قال: إذن أنت التي تريدين أن تتزوجيه، وليس هو

قالت: نحن الاثنان

قال: وهل قلت لأبينا

قالت: ولماذا أقول له، إيش أدخل والدنا فيما بيني وبين صديقي، لقد تزوجنا عرفياً بعد الثورة

قال: تزوجتم أم ستتزوجان، ثم إيش أدخل الثورة في كل ذلك؟

قالت: الحرية، والتحرير

قال: حرية ماذا؟ وتحرير كيف؟ وأنت لم تذهبي إلى ميدان التحرير ولا مرة واحدة،

قالت: لكنني شاهدته فيديو

قال: ميدان التحرير هو ناس ومصر ونبض وليس مسلسلا ، هو "إعادة ولادة"،

قالت: لا لالا ، لقد قررنا ألا ننجب مبكرا هكذا؟

قال : ماذا تقولين؟

قالت: أنت الذى تقول : إعادة ولادة ،

قال: إعادة ولادة مصر

قالت : ونحن مالنا، ثم إنى لست فاهمة قصدك

قال: أنت التى جئت بسيرة التحرير، لكننى نسيت أنك لست هنا

قالت : أنا هنا ونصف وحبينا: اسمه : حزب "مصر التحرير"

قال: حزبكم ؟!!! وهل لكم حزب؟ حزب عرفى أيضا؟

قالت : لست فاهمة ، لكنه أقنعنى

قال: من؟ صديقك، أعنى زوجك؟ أفنحك بماذا؟

قالت لا أعرف لكننى اقتنعت

قال: وماذا تريد منى الآن؟ ما دام الزواج قد تم بالصلاة على النى، لماذا أخبرتى الآن؟

قالت: إنه يريدنى أن أقنحك أن تدخل حزبنا الجديد، أن تنضم إلينا

قال: أنضم إليكم أين؟ أنضم إلى من؟

قالت: هو الذى قال

قال: قال ماذا؟

قالت: قال إن أمريكا معنا

قال أخوها: أمريكا !!؟ إيش أدخل أمريكا؟ مع من؟

قالت: مع زواجنا، ومع مصر

قال: ما هذا التخريف، وهل أنتم مصر، وأمريكا مالهنا بزواجكم المزعوم

قالت: هو يقول إن أمريكا تتفاهم مع كل القوى لتقضى على الإرهاب، ويحل محله الحب الذى هو سبب زواجنا

قال: أمريكا تفعل ذلك بصفتها ماذا؟

قالت: لا أعرف، هويقول أنها تدبر كل شىء لكل الناس فى كل مكان

قال: يا نهاركم أسود، هذه سرقة، محاولة لسرقة كل ما قام به شبابنا فالشعب، إنهم يتاجرون بدم الشهداء!! هذه سرقة!

قالت: مَنْ يسرق مَنْ ؟

قال: القراصنة يسرقون الثورة

قالت: لست فاهمة، المهم عندي هو الحرية ، والحب

قال: عليكى نور، خليكى فى الحب، وحين تشبعين منه نتكلم فى السياسة

قالت: سياسة تعنى ماذا؟

قال: يا نهارك أزرق!! وتنضمين إلى حزب جديد؟ !! سياسة تعنى ماذا!! سياسة تعنى إدارة أحوال الناس: تعنى اقتصاد، وإنتاج، وعدل، وأمان، وتنظيم الحرية

قالت: أنا اختصرت الطريق وعرفت السياسة والحرية من واجبات رسوم كليتنا التطبيقية ، مشروع التخرج هو عمل تطوير لتمثال الحرية الأمريكى

قال: هو ليس أمريكى، هو هدية من فرنسا لأمريكا بعد أن كان معمولاً لمصر ليوضع فى مدخل قناة السويس عند افتتاحها، لكن الخديوى إسماعيل عجز عن دفع ثمنه، فأهدته فرنسا لأمريكا

قالت: إذن هذه هى السياسة، الآن فهمت فكرة اتصال أمريكا بالإخوان، ودور حلف "الناطو"، لكن قل لى هو "ناطو" يعنى ماذا؟

قال: يعنى اتصالات وعلاقات لانتقاء "التورته" تلو "التورته" ثم الاتفاق على تقسيمها

قالت: وهل لإسرائيل نصيب فى التورته

قال: يبدو انهم عملوا "جمعية" مثل التى تعملها خالتنا مع أمى وصديقاتها، ويختلفون مَنْ تقبضها الأول

قالت: وهل إسرائيل دخلت هذه الجمعية؟

قال: يبدو أن النظام الجديد لهذه الجمعيات يسمح بدخول بعض الأعضاء سرا ما داموا سوف يقبضون الآخر

قالت: ربما كان مبارك عضواً سرياً مثل إسرائيل، وحين تأخر فى دفع القسط طردوه

قال: ربما، أو ربما تأخر فى الإسهام فى دفع نصيبه فى نصب تمثال الديمقراطية؟

قالت: صحيح، ربما، على فكرة إن من ضمن برنامج حزبنا أن يقيم تمثالا للديمقراطية، فى ميدان التحرير

قال: لكن التماثيل حرام

قالت: ليس بعد الثورة

قال: كيف

قالت: لقد قال لي صديقي أن هذا هو ما تحاول أمريكا أن تمنع به السلفيين بعد الإخوان

قال : وهل اقتنع الإخوان

قالت: يبدو ذلك، حسب كلام السيدة كلينتون، أو كما قال

قال: وما للسيدة كلينتون بالحرام والحلال؟

قالت: لا أعرف، ولكن يبدو أنها أخذت تفويضا

قال: تفويضا في إعادة النظر في الحرام والحلال؟ مِنْ مَنْ؟

قالت: لا أعرف، هذا مافهمته من حكاية أنها "مدنية"، "مدنية"، ثم من التفاهم الجارى الذى قبله الإخوان من أجل مصلحة البلد

قال: وما هي مصلحة البلد؟

قالت: إيش عرفنى؟ هو الذى قال لي

قال: من هو؟

قالت: الله يحرب عقلك، زوجى، يعنى صديقى، يعنى عرفى

قال: اسم الله !! اسم الله!!

قالت: والآن هل اقتنعت بالانضمام إلى حزبنا؟ قل لي حتى أخبره فيفرح بي.

قال: ليس قبل أن تعلنوا زواجكما رسميا

قالت: نحن ننتظر موافقة لجنة الأحزاب

قال: وهل موافقة لجنة الأحزاب ضرورية لإعلان زواجكما؟

قالت: هي ضرورية لإعلان الحزب

قال: وهل تريدني متى أن أنضم لحزب لم يعلن بعد؟

قالت: هو قال لي أنه لكي يعلن الحزب ، فالأمر يحتاج لتوقيعات كثيرة، وكلام من هذا

قال: بسيطة وقعى باسمي بدلا مني

قالت: لقد عرضت عليه ذلك لأنني أعرف عنادك وغبائك، فحذرنى أن يسجنوني مثل واحد اسمه "أيمن نور"

قال: هل تعرفينه؟ وهل تعرفين لماذا سجنوه؟

قالت: لا، وهل من الضروري أن أعرف كل ذلك؟

قال: الاحتياط واجب

الثلاثاء 12-07-2011

1411- عندما يتعري الإنسان (7 من 12)



اعتذار متكرر: لم أستطع - مرة أخرى- مواصلة كتاب "الأساس في الطب النفسي".

فواصل الكتاب القديم الجديد ليحتل المساحة اليوم وباكرا.

كتاب جديد (قديم)

عندما يتعري الإنسان (7 من 12)

"دروس للناس: في الطب النفسي"

العلامة

قال الفتى للحكيم:

- أراك حطمت من الأصنام ما يهز معتقداتنا مرة ومرات... وما أنت ذا تقترب من إله العصر الحديث "العلم" وأخشى ما أحشاه أن يحتل الأمر على فتهتز ثقتي بهذا الإله أيضاً، وهو نور الهداية على طريق التقدم، وهو الحل الأول والآخر في بلدنا هذا، في عصرنا هذا.

قال الحكيم:

- ليس على العلم خوف ولا في حديثنا عنه حرج، ولا ينتقص منه أن يمر أحد رهبانه بأزمة وجود، وعلى أية حال فإن المبالغة في تقديس معطياته دون تحييص، وعبادة أرقام بطريقة عمياء، قد يتركش الطريق ولكنه ليس دائما دليلا على سلامته وصحته، وعلينا أن نعرف قصوره حتى نستكمل أبعاده وإلا انزلقنا إلى سبيل ضال رغم بريقه، قد يعوق تطور الانسان ونحن نتصور أنه يزين حاضر حياته، وحكاية اليوم لا تنقص من العلم بل تزيد من إمكانياته، ولا تنفي ضرورته بل توسع آفاقه..، وهي حكاية "العلامة" الذي كاد يكفر بعمله حين اهتز كيانه.

قال الفتى:

- وكيف كان ذلك؟

قال الحكيم:

- هو أستاذ مساعد أو مساعد أستاذ، هو لا يعلم أى أستاذ يساعد، وربما كان هذا من بعض ما يشغله إذ يبدو أن ذلك اللقب في سالف الأيام كان له معنى، إذ كان يدل على طريقه حرفية في التعلم والتعليم، تكاد تشبه تدرج المرید على يدى شيخه الصوفى، حيث يكون للأستاذ طريقة، ولكل طريقة شيخ، ولكل شيخ مریدون، ومن المریدین من يساعد الشيخ، كانت هذه المساعدة درجة يرفع بها المرید إلى أن يكون خادم الشيخ أو خليله أو صديقه، ولما أصبح اسم الشيخ في العصر الحديث أستاذاً... أصبح مساعده أساتذة مساعدين، ثم راح اللفظ يفقد معناه بسوء الاستعمال، ويفقد نبضه من كثرة الابتذال، ويصبح رمزا لوظيفة لها علاوة، وللعلاوة ميقات معلوم، وأوراق مرتبة، حدث ذلك حين أصبح العلم غاية في ذاته، وليس سبيلا للمعرفة، والألعن حين أصبح وسيلة لغير المعرفة، مثل المنح والترقيات، وخدمة أموال الشركات وبالتالي أصبحت المعلومات أشبه بالأوراق المالية ولها بورصة وأسواق، وليست إثراء للوعى البشرى، وإسهاما في التطور، فراح تنحسر في أدمغة الحفاظ، وتراجع عن دورها كطريقة في الفهم وتنمية للفكر الخلاق، وهكذا انقلبت الجامعات ومراكز البحث من مراكز حب صوفى بين الأستاذ ومريديه، إلى درس إمداد من بوق إلى سامعيه، ويبدو أن كل هذا لازم لمواجهة الأعداد الكبيرة للحفاظ والانتشار الهائل لموجة التحفيظ، وليس التعليم. إذا فقد التعليم طريقة الشيخ والمرید فإنه يفقد النبض العاطفى، ويصبح حشوا منظما لكم متناثر من المعلومات في خلايا مخ إنسان لم تضع في حسابها وهى تتطور أنها ستصبح مخزنا لرموز أشياء فقدت اتصالها بالأصل.

قال الفتى:

- ما هذا كله؟ كأنك تلقى محاضرة لا تحكى حكما من خبرة كما بدأنا

قال الحكيم:

- عندك حق، نسيت نفسى، لكن كل هذا كان يشغل هذا الإنسان الطيب حين حضر إلى شاكنا مترددا هيبا

قال الفتى:

- وكيف كان ذلك؟

قال الحكيم:

- اندفع بخلاف غيره بمجرد أن دخل على وراح يتكلم بصوت مرتفع دون أن أسأله قال: لولا بقيه من أمل... لذهبت إلى "كودية زار" فقد كدت أكفر بالعلم من كل نوع، وحين شاهدت الشهادات على حوائطك انزعجت أكثر فإن كل ما تقوله هذه الشهادات هو أن دماغك في وقت ما قد انحسر فيه كذا كيلو جراما من الكتب.. ما هذا؟ لماذا؟ هل تريد ان تدهش زبائنك

بكم معلوماتك قبل أن يدخلوا إليك فتسهل مهمتك في ترويضهم؟ هل هم جاؤوا إليك تقديرا لهذا المخزن الممتلىء بالمعلومات أم طلبا لما تحمل في جوانبك من معرفة ومشاعر..؟ لماذا لا توزع عليهم دليل أبحاثك "إياها" التي ترقيت بها؟ أو تكتب لهم بيانا برحلاتك العلمية التي اشترت فيها الملابس الداخلية لزوجتك وبناتك، أليس هذا أوقع في نفوسهم حتى يدخل الواحد منهم وقد استسلم لهيلمان معلوماتك فتلقى اليه ما تريد، أليست هذه الطريقة هي التي تجعلك مسكاً مثل المسابك الوالدية المحترمة، تصنع الناس حسب النموذج الذي في ذهنك؟ تضغطهم على بعضهم حتى تغوص أنوفهم في أفقيتهم، وتطبق شفاهم ويصبح المنطوق في حدود المقبول... وبهذا يتكيفون مع ما حولهم من واقع فاسد وكذب شائع!؟

قلت له :

- لماذا أنت قاس كل هذه القسوة في فروضك، فبرغم أنها تحمل بعض الحقيقة إلا أنك لم ترقية الصورة بعد، وأظن أنه من الأفضل أن تنتظر ثم تحكم .

قال :

- أنا أبدو قاسيا لكثرة ما قاسيت طول عمري لأني أقول الحق عارياً، والحق قاس وصارم، وعلى كل حال فأنا لم أجيء بالجديد، أليست الصحة النفسية عندكم هي التكيف، لماذا لا تغير الالفة فتكتب الدكتور فلان أخصائي "التكيف"، أو قل مثلاً جهاز "التكيف الطبي الصحي المعترف"؟ أليست وظيفتك أن تكيف الناس مع بعضهم البعض، أليست هنا تخدم استمرار النظام كما هو؟ ألا تسمون بعض عقايركم المهدئات العظيمة؟ أي عظمة أن تهدي ثائرة الناس؟ ومع ذلك فقد جئت إليك على رجلى... ومستعد أن أسمع منك غير ما قلته أنا.

قلت :

- أنا أساعد الناس أن يجدوا أنفسهم، ويطلقوا قدراتهم ويمارسوا حريتهم ثم يختارون طريق التكيف أو يشكلون هويتهم كما يشتهون... أما مجرد الرفض دون بديل، وإشعال النار دون إطلاق طاقة؛ فهذا ما لا بد أن تنفق معى على رفضه .

قال :

- إذن أنت تحاول أن تستدرجني.. فليكن.. أنا جئت هنا أحاول.. فلأحاول، سوف أحكى لك:

كنت طالبا ممتازا في كل شئ، رغم مرور السنين.. أذكر خاصة يوم انتزعوني من البيت إلى المدرسة، أذكر ذلك تماما رغم أني لم أكن بعد تحطيت الرابعة، خدعوني، كانوا يتصورون أني لا أفهم، ولكني ما زلت أذكر هذا اليوم مثل الآن، وما زلت حتى هذه اللحظة لا أتق فيهم، قالوا أننا سوف نزرع عمى لألعب مع أولادها، وكانت وجوههم تقول غير ذلك، أيقظوني في الصباح الباكر، وكان وجه أمي غير وجهها، لماذا هي مكتئبة

هكذا؟ لماذا نزور عمي قبل طلوع الشمس؟ كنت أسمع قبل ذلك حديثاً عن المدرسة، وعن المريضة وعن أشياء كثيرة لم أتصور أبداً أنها يمكن أن تكون حقيقة في يوم من الأيام، كانت علاقتي بأمي علاقة خاصة جداً، كانت جزءاً من كياني أو كنت أنا جزءاً من كيانها، أو قل لم يكن لي كيان أو لم يكن لها كيان، كنا واحداً والسلام، مرة "أنا هي" ومرة "هي أنا"، ولكنها لم تحسن التمهيد لما سيكون، لأنني أحسست أنها في ذلك اليوم لفظتني فجأة، تقاياتني من جوف أحشائها وهربت، وباليتهما أنذرتني بل خدعتني...، فجأة.. وجدت نفسي في الجحيم فعلا.. هل أستطيع أن أنقل لك مشاعر طفل بعد تلك السنين؟ كيف أنقل لك المشاعر بألفاظ اكتسبناها فيما بعد.. مشاعر عاشها طفل لم يكن يحدق بعد لعبة الألفاظ...

كيف أصور لك كيف انتهت الحياة؟ كيف اتسع العالم وانحوت حدوده حتى اختفى؟.. كيف أصف لك لوعة طفل تركوه فجأة، وقالوا سنرجع حالا ولم يرجعوا أبداً، ربما حتى الآن، تركوه ليرغمي على رمل المدرسة ويتمرغ.. ثم يحس بالتضاؤل حتى كأنه يتحول إلى دودة صغيرة تسعى وحيدة في صحراء شاسعة ليس فيها حياة... قالوا سنرجع حالا.. وبأليتهم ما قالوا "حالا"، توقف الزمن عند هذه اللحظة، ولم يعد حال ولا ماض ولا مستقبل، واستمرت لحظة الخال الدهر كله، ومازلت أعيش هذه اللحظة أبداً، ومع ذلك فهأنذا قد مرضت أو هكذا تقولون..، ما أقسى كل هذا، وحين جاءت أمي لتأخذني آخر نهار الجحيم قفزت الدودة في جوفها وزحفت قليلاً في أحشائها ثم تلاشت تماماً.. كلام مجانيين أليس كذلك ولكنك أنت الذي اخترت هذه المهنة فعليك أن تسمع كلامنا... وإلا لمن نتكلم.. شيعت كلام عقلاء... وجئت لأنكلم مثلما كنت أفعل قبل أن أذهب إلى المدرسة "أى كلام"... أما بعد ذلك فلم أنطق إلا بالمفيد... حتى صرت إلى ما صرت إليه، اسم الله!!!!

قالت الأبله:

- "الذي سيتكلم سأقفل فمه باللزاق" ومن يومها لم أنطق إلا بالمفيد، بالدروس... بالمعلوم بكل الجدية، وكل ما هو غير ذلك انحبس في جوفي إلى الأبد... لا.. إلى الآن، حتى انكسرت، فجننت إليك أقول ما يجلو لي وأتمتع بفضيلة الجنون، الدودة.. الصحراء! على فكرة هناك من الديدان ما ليس له فم.. وأنا لم يكن لي في تلك الأيام فم.. هل تجد صعوبة في الفهم؟ معك حق، ولكن مشاعر الطفل إذا ترجمها عالم متحذلق مثلي إلى ألفاظ ليعرضها على آخر كانت النتيجة كلام مجانيين. أليست المشكلة التي تجعل الناس مجانيين أنهم يحملون من المشاعر ما لا يستطيعون صياغته في ألفاظ؟ منذ ذلك اليوم انقطعت علاقتي بالحياة، كان الحزن العظيم الذي عاشه الطفل أكبر مما يحتمل فاختفت المشاعر كلها حتى حزن ذلك اليوم، وكان الضياع الهائل وسط صحراء المدرسة مفزع ولكن لا بديل له.. لم تضع أمي في حسابها أني ذاهب عنها لا إلى المدرسة ولا إلى أي مكان آخر، ولماذا يضعون في حسابهم حزن الأطفال وهم لا يعرفونه، هم

يتصوره شيئاً مثل حزن الكبار بل هم يتصوره أهون كثيراً، فالأطفال سرعان ما سينسون. إن الكبار هم الذين يمكن أن ينسوا فإذا تذكروا فهي ذكريات حزينة، أما الأطفال فانهم لا ينسون، لأنهم يعيشون تجربة لا يعرفونها قبلاً، فتختلط بكيانهم الغض حتى تغيره، فكيف ينسون وقد أصبحت الذكرى جزءاً من تكوينهم، إن حزن الكبار هو الأسى، هو الأسف، هو اللوعة، هو الخسارة، أما حزن الأطفال هذا الذى أحكى عنه فهو ليس حزناً، هو حسرة، هو الضياع الكامل، هو الموت، هو الإحساس بشئ كبير هائل يجثم على أنفاس الصغير ويحيط به من كل جانب ويجعله يتضائل حتى يكاد يتلاشى وياليتيه يتلاشى، ولكنه يندمج في هذا الشئ غير المحدود حتى يصبح هو بلا حدود، لا يمكن أن أصف لك هذه المشاعر بمزيج من الهم والضياع والخوف واليأس؛ لأن كل هذه الكلمات اكتسبت معانٍ نستعملها نحن الكبار، أما شعور الطفل فهو شئ آخر. حدث كل ذلك فجأة... أحببتى والدتى حتى تملكتنى فيها، ثم تركتني قهراً دون إنذار... ، خدعتني.. كذبت عليّ، فانقطعت علاقتي بالناس وللأبد، كانت أُمى هي الجنة الوارفة المثمرة، لا أبذل فيها أى جهد لأحصل على ما أريد، أما في صحراء المدرسة فقد كان الكتاب هو نبات الصبار وما أنا، صلب مثل الصبار وذو شوك أيضاً يؤلم من يقرب منى، أصبحت أنا الكتاب ذاته وارتبطت المشاعر تحوى بكوفى كتاباً جيداً أو كتاباً سيئاً، وإلا فأنا لا شئ.

- لماذا تحببني يا أمى؟
- لأنك تلميذ شاطر
- هل ترضى عني يا أبى؟
- طبعاً ما دمت شاطراً في المدرسة
- وإذا لم أكن شاطراً يا أمى؟
- غير معقول
- وإذا قُضرت يا أبى؟
- لا.. ليس أنت.
- غير معقول ألا أكون إلا كتاباً.. "أنا" لست "أنا" إذا قُضرت، أما "أنا" فهو أمر غير وارد غير محتمل.
- وهكذا دارت الأيام وأصيحُ كتاباً محبوباً.. الشطارة مصدر الرعاية، والتفوق شرط الحياة..
- فليكن.

أقبلت على الكتب.. غرقت فيها حتى أذنتي وساعدتني وحدتي وحماني انطوائي.. وكان والدائ يفرحان بهذا الهدوء والقراءة المستمرة، واستبدلت بالناس الصور المقروءة، واستبدلت

بالكلمات النابضة وبالحياة الدافئة، الكلمات المرصوصة على الورق، وحين ازدادت حاجتي للناس في سن المراهقة حاولت أن أبعث في ألفاظ الكتب الحياة، حاولت أن أجد الناس الأصدقاء بين الصفحات، كانوا ناساً رموزاً لكنهم ناسي، أحسن من لاشي والسلام، كنت قد فقدت الثقة بالناس الحقيقيين، كيف آمن لهم وقد يتكون مرة ثانية دودة ضائعة في صحراء جرداء جديدة لا أعرفها، أما ناس الكتاب فأنا الذي أمد يدي إليهم وقتما أريد، وأنا الذي أعيدهم إلى صفحاته حين أنشغل عنهم بعد أن يؤدوا الواجب، أنا سيد الموقف لا أنتظر شيئاً من آخر وحتى أنت جئت إليك - بصراحة - لا أنتظر منك شيئاً، أقنعت نفسي أنني جئت إليك أتفرج على علمك، أو عليك، لن ترتقى أبداً لأن تكون ناساً عندي، أنا دفعت لك تماماً كما أشتري كتابتاً، وعندى أمل ان تكون أسهل في القراءة... أما كونك إنساناً "آخر" فهذا ليس في حسابي رغم أن جزءاً غائراً في نفسي يتمناه .

قلت:

- ولكني إنسان، وهذا هو أساس مهنتي

قال:

- يا ليت، وما هذا الذي تعلقه على الجدران في الصالة، أنت "عالم" قبل أن تكون طبيباً، هذه هي صورتك عندي، وهي صورة لا تسر بعد ما حدث لي

- وهل هناك تناقض بين أن أكون عالماً وأن أكون طبيباً إنساناً

قال:

- هذا ما جاء بي إليك.. فقد عشت هذا التناقض منذ اللحظة الأولى بين الكتاب والإنسان، بين العلم الجرد ونبض الحياة، وكانت نهايتي كما ترى: هنا بين يديك، هارب من الجنون أو قل هارب إلى الجنون. منذ اللحظة الأولى.. منذ تركتني أمي دودة تسعي في صحراء بلا ناس، منذ خدعتني وقالت: سأتى حالا ولم تأت أبداً، منذ أحببتني حباً لصقني بها جزءاً منها، ثم تركتني فجأة كتاباً ملقى على الطريق تعبت بصفحاته عواصف الصحراء، أعنى حوش المدرسة، وظلت العواصف تقلب صفحاتي حتى تمزقت دون أن تتطير، وما هي بقاياها بين يديك، .. هذا الذي أمامك هو بعض ما تبقى مما لا يصلح لشيء، .. أنا الغلاف والمقدمة والخاتمة، أما محتوى الكتاب فهو ضائع مني، وبالتالي فهو ليس في متناولك

قلت:

- ..كنت طالبا ناجحا ثم صرت عالماً ناجحاً غاية النجاح، فأين المشكلة؟

قال:

- النجاح؟ نعم النجاح هو القوة التي تساعد على المسير.. هو الطاقة التي تجعلك تستمر ولكن هذه القوة لا تحد

طريق المسير. إلى أين؟ هي تنقلك من محطة نجاح إلى محطة نجاح تالية؟ ولكن كل هذه التنقلات ولو بدت إلى أعلى شئ وصواب الطريق الذى تنتقل بين محطاته شئ آخر.

قلت:

- أليس طريق البحث والعلم هو من أكثر الطرق إبهارا وتنويرا

قال:

- كان طريقا باهراً مملوءاً بالنجاح فعلا، وهو ملىء بالتنافس أيضا، .. آه من التنافس قد يحلوك أن تنتمصر على غيرك وتسحقه .. ولكن الطفل.. الطفل المسكين كيف يثيرون في نفسه كل هذه الرغبة في الانتصار على أقرانه ومن أول خطوة .. كيف يثيرون الحقد في أعماق طفل لم يتعد الرابعة .. كيف يكون الهدف الأول والأخير أن يكون "أفضل" لا أن يكون "فاضلا"، دائما أفضل من الآخرين. فيصبح الآخرون أعداء يتكالبون معه على شئ واحد.. ومن البداية، مع أهم في أشد الحاجة إلى بعضهم البعض، أكثر من حاجتهم إلى ذلك الشئ الأوحده: التفوق.. وبدل أن يكون العلم منهلا ينهل منه الجميع. يصبح التفوق مطلبا في ذاته.. ومنذ متى.. من أول خطوة على الطريق، لا شك أن التفوق ضرورى لهذه الحياة ذات الفرص الضيقة، لا شك أن التنافس حافز، ولكن ذلك التنافس الحاقد ومنذ الطفولة شئ آخر، هو إثارة لكل ذنائة العصر الحاضر، هو تنمية للنوازع التى تحرم حرص المجتمع منذ الطفولة، ولكن هذا شئ عادى يحدث في كل بيت ولكل طفل، وهو يأتى بأفضل النتائج، لا تعجب فقد جاء عندي أيضا بأفضل النتائج، كنت الأول دائما، كنت أرى نظرات أحمد وعمر وسالم ونبيل وسناء ومي، وأفرح فرحا بلا نشوة، وأزهو بلا طرب، ويدب في حماس نحو نجاح آخر... ويزيد تعلقى بالكتب، وبعدي عن الناس في نفس الوقت.

ثم جاءت فترة المراهقة. فازدادت عزلة خوفا من هجر جديد، تخنيت أن أدخل في مغامرة غير مضمونة، لا أريد أحدا يجنبني حتى أتلاشى فيه ثم يتركني حتى أضيع... أما أصدقاء الكتب فهم مضمونون. تستخرج من بين السطور من تشاء تتقمصه وتصادق أصدقاءه وتعدى أعداءه ثم تحتفظ بالجميع على رف المكتبة، تستدعيهم وقت ما تشاء وتقدم في أية لحظة من ليل أو نهار، وزاد تعلقى بالكتاب وأصبح بديلا عن الحياة.. وزاد تفوقى.. وأهلى راضون سعادة. حققت لهم ما يشتهون.. وحصلت على شهادتى المزرکشة بتقديرات عظيمة.. ورغم أنها لم تكن عملية سهلة إلا أنها كانت تتم بنجاح.. وراء نجاح، ومع ذلك ظلت الامتحانات هي رعي الهائل المتكرر طول الوقت.. كانت حدثا رهيبا في حياتى لأنه: بما أنى كتاب ليس إلا، فليس لي خيار، صار الامتحان بالنسبة مسألة حياة أو موت فعلا لا مجازا، لأن معنى الإخفاق هو الضياع، الاختفاء، الفناء.. ماذا يتبقى مني إذا فشل الكتاب.. وأنا كلي كتاب، لست إلا كتابا، كنت أدخل الامتحان لا لأفرغ ما في رأسى من معلومات ولكن لأؤكد من وجودى.. لأنه لا وجود لي بدون شهادة، وحصلت على الشهادة

تلو الشهادة حتى البكالوريوس. إلى هذا الحد.. كانت حياتي مفهومة ومعقولة - على الأقل من الظاهر - استعضت بالكتاب عن الحب، و بالنجاح عن الحياة الاجتماعية، وبالشهادة عن الوجود الإنساني، وبدأ لي كل ذلك طبيعياً من فرط ما مارسته كل هذه السنين، لم أكن أدرك أنني لم أبدأ حياتي أبداً، لم يكن ينقصني شيء.. لم أكن أشكو من شيء حتى ذلك الحين.. كان نجاحي يحفظ حياتي ويعطى لها معنى.. وما ظهرت هذه الرؤية إلا الآن، كأني أكتشفها معك لأول مرة.

قلت له :

- ولكنك صورت النجاح تصويراً وكأنه الفشل، فهل تعتقد مثلا أن الفشل كان سيصلح حالك؟

قال :

- قلت لك إن الفشل هو الموت ذاته، لأن النجاح كان الشيء الوحيد في حياتي، النجاح طاقة ولكنه كان لي هدفاً وغايةً ووسيلةً وكل شيء، إلا أن النجاح والتفوق في ذاته لا يعطى للإنسان عاطفة أو حياة، قد يتيح له فرصة أحسن ولكنه ليس هو ذاته الفرصة الأحسن، الناس تركز على نجاح الأطفال وتفوق الصبية والبنات ولا يتابعون مصير الناجحين حين يكبرون..

ياسيدى أنا نجتحت حتى لم يعد للنجاح طعم، تفوقت على الآخرين حتى ابتعد عني الآخرون، وحصلت على الشهادات كلها.. وكلما تدرجت على سلم الشهادات انزعجت من تلك المقاييس التي تقيم الناس، وكان آخر المطاف شهادة الدكتوراه: رسالة وامتحان يرضى كل المتحنيين بلا استثناء - أي والله بلا استثناء - وتيقنت أن آخر شهادة هي أخطر شهادة، لأنها تعطيك حق الجهل، وهي شهادة تُعطى ولا تُؤخذ، تدل على الرضا أكثر مما تدل على العلم، أما أنها تعطى حق الجهل فهذا أخطر ما فيها.

قلت :

- لا تغال.. وقل لي كيف؟

قال :

- أنا لا أغالي، ولو لم أكن حاصلًا عليها لحسبت ذلك شعوراً بالنقص أو حقداً ولكني حاصل عليها من أول مرة وبامتياز، ومع ذلك فأنا لا أقول إلا الحق، فقبل هذه الشهادة يتمتع الطالب أو العالم بفضيلة الحياء، فيخشى أن يفتى فتوى دامتة إلا إذا راجعها وحسب لها حسابها، أما بعد أن يحصل عليها فإن له أن يقول ما شاء دون حساب مباشر، خاصة في بلدنا هذا، هذا هو الخطر بعينه، أن يحسب الإنسان نفسه عالماً بالشهادة، فالشهادة قد تكون خدعة كبرى لأنها من الرموز التي تعدت معناها حين أصبحت غاية في ذاتها، وأصبح تقويم الإنسان صغيراً

وكبيراً مرتبطاً بها ارتباطاً وثيقاً، وهذا من ضرائب العصر التي لم نجد لها بديلاً حتى الآن..

قلت:

- ولكن ماذا ضرك في كل هذا.

قال:

- لا شيء حتى الآن إلا جفاف الحياة، وفقد نشوة الانتصار. بعد الشهادة الكبيرة عشت الألم الرهيب الذي انتهى بكسرى الذي أتى بي إليك هذه هي الحكاية.

قلت:

- أية حكاية؟

قال:

- حكايتي مع العلم والعلماء والبحث والمبادئ ، أنا حين سلكت طريق العلم أصبح للكلمة محراب فيه أرقام وأرقام أهتز لها احتراماً، وأخني أمامها تبجيلاً، ولكن حين أصبحت أحد خدام هذا المحراب اكتشفت أن ما به ليسوا آلهة كلهم، هناك أيضاً أصنام من الحجارة تبدو عليها سمات الآلهة، واهتزت وتشككت وكدت أراجع وأنا أكتشف أن الأبحاث فيها الحسن وفيها السيئ، وحين تقرأ بحثاً فأنت إما أن ترفضه وإما أن تقبله، ولكن كنت أحد خدام المحراب وولدانه، فمارست تناول الماء المقدس من الداخل ولم يكن دائماً مقدساً، خصوصاً لدى الكهنة الأساتذة المشايخ والأخبار.

قلت:

- الحياة: "فيها" .. "وفيها".

قال:

- ليكون، ولكن في محراب العلم تصبح الأمور لا تحتل أن يكون " فيها" .. "وفيها"، إما أنه فيها، أو أنه ليس فيها.

قلت:

- فلندخل إلى الموضوع ونخفف من الألباس.

قال:

- ما دامت الأبحاث في بلد نام، أو فلنسمه متطوراً فلا بد من احترام إمكانياته، وقد سمعت أستاذاً ساخراً يقول أثناء التلمذة إن الأبحاث في مصر - في مجاله على الأقل- إما كلام فارغ أو كلام مفروغ منه، أما الكلام الفارغ فهو البحث الذي يعمل وكأنه شيء مبتكر وهو ليس به شيء، أما الكلام المفروغ منه فهو الذي سبق عمله في بلاد أكثر تقدماً وما تكراره هنا عندهنا إلا من باب تحصيل الحاصل.

قلت:

- تريد أن نوقف البحث العلمي في بلادنا؟

قال:

- خطر لي فعلا أنه إما أن يكون هناك بحث علمي وإما أن يوقف.

قلت:

- فليكن.

قال:

- لم يكن.

قلت:

- إذن ما الذى كان؟

قال:

- كان يا ما كان أستاذ ذو كرسي، والأستاذ عندنا صنفان: واحد له كرسي والآخر يظل واقفا حائرا بدون كرسي، وعندنا من الأساتذة من يتراخى على كرسيه حتى يصبح الكرسي أريكة، ويا حبذا لو كان سريرا يحاط بمساعدين يهون عليه بمراوح من ريش نعام.

قلت:

- إنك في أزمتك تذهب إلى بعيد وترسم صورة صارخة ليست هي القاعدة.

قال:

- أنا لا أحدث عن قواعد، أنا أحدث عن تجربتي الخاصة، أنا مريض نفسي وأنت طبيب نفسي، وقد تخرجت طويلا أن أقول هذا الكلام بين الزملاء، كانوا يشعرون أني أهاجمهم وأكشف عوراتهم في حين أني كنت أنقد نفسي معهم، كانوا يدافعون عن جلال العلم وهيبة "الأساتيد" دون محاولة لمناقشة صدق محاولتي، وكان الأستاذ هو أستاذا لأنه أستاذ، وليس لأنه رائد وموجه وناقد وإنسان، وظللت أكتب وأخطئ نفسي وأعمل حسابا للذى يصح والذى لا يصح، وأفوت وأصهين وأسكت وأغض حتى انكسرت، وجئت إليك يا سيادة الأستاذ الطبيب النفسي، ولكن قل لي هل أنت تعترض لأنك أستاذ أم لأنك طبيب؟ لمصلحة من تحاول أن تزين لي حقائق عشتها أنا بكل الألم والمرارة، وتقول أنت تبالغ؟ أنتم الذين تبالغون في العمى والضللال.

قلت:

- العمى والضللال مرة واحدة؟ هكذا؟

قال:

- نعم بحجة احترام الواقع والجمالات، إن الواقع محتم. طالما هو صدق وأمانة، والجمالات عظيمة طالما هي الزيت الذي يلين تروس المعاملات الجافة، أما أن نرص الأرقام ونتبع مبدأ "من سهل، سهل الله عليه" فإن ذلك هو العمى والضلال.

قلت:

- ولكنها تجربة خاصة.. فلماذا تعممها؟

قال:

- أنا لا أعمم شيئاً.. أنا إنسان مكسور ضعيف مهان، وملقى في كرسى في عيادة نفسية، في عقلى خلل وفي إدراكى شطط، ومن حقى أن أخرف ما شئت، وإلا ما فائدة أن يمرض الإنسان، أليس المرض سبيلاً إلى حرية ما، ألا يمكن أن يكون عذراً للأمثالي ليقولوا ماشاؤوا، أم أنه دائماً علقه قبل وبعد الحديث الطليق؟

قلت:

- ولكنه مرض.

قال:

- مرض يمرض مرضاً فهو مريض والجمع مرضى أو مريضون أو مريدون، يبدو أنى لكى أقول ما أشعر به في صدق وصراحة لا بد أن أمرض، وحين أمرض لا يصبح لكلامى معنى ولا يسمعه أحد لأنى مريض سوف" يسقطون لى فارغة".

قلت:

- فهو المرض.

قال:

- هو كذلك... ولكنه الحقيقة، أن ترى الأوضاع مقلوبة، أن ترى العجز سافراً، أن تعيش يقظة الوحدة، أن تعرى الأشياء، هذا ما تسمونه مرضاً.

قلت:

- ربما هي حقيقة هاربة محتبئة.

قال:

- لم يسمح لها بالظهور في غير العيادة النفسية.

قلت:

- ربما أنت لم تحتمل الاستمرار.

قال:

- ربما.. ربما لم أحتمل الاستمرار، وربما خفت من الاستمرار... فالإنسان ما لم يتيقظ في كل لحظة انخرط وهو لا يدري، وأسلوب الانحراف يختلف ويتنوع، وأخطر أنواعه النوع الخفى ذو المبررات الواقعية وشبه الأخلاقية، اسمع يا سيدى هل انتهى وقتى أم استمر؟

قلت:

- خذ راحتك

قال:

- قالوا أنت حنبلى، ولوحوا أمامى بالترقيات والمؤتمرات وقلت لنفسى، أنا لا أستطيع أن أصلح الكون وأنا صغير، فلأكره أولاً ثم أصلح الكون، إنهم يريدون عدداً من الأبحاث "كل شيء كان" (كلشكان) فليكن، ولأصبح ذا مركز يليق، ثم أغير الكون.. وبدأت الطريق القاسى، لم يكن هناك سوى أرقام أريد ضربها وطرحها وقسمتها، وإيجاد مُعامل الإرتباط، ومُعامل الثبات إلى آخر هذه القصة التى تزين البحث لتستخرج منه حقائق توصف بأنها علمية أو ما شابه ذلك، وكلما وصلت بهذه الطريقة إلى حقيقة تعجبت فهى حقيقة بديهية، ولكن البديهيات لا تتقدم بالعلم، والعلم يحتاج إلى أرقام ودلائل، ومضيت أجمع وأطرح وسجلت ملاحظات لا بأس بها، وكان لها زنين حلو منمق، ولكنى فى قرارة نفسى كنت غير مقتنع بكل ذلك، ماذا أفاد هذا البحث؟ ماذا أضاف؟ أى سؤال أجاب؟ أى جديد؟ وكنت أسأل زملائى فأجد عندهم جاهزة براءة معادة، لا تصلنى فأنهم نفسى، والعجيب أنى كثيراً ما كنت أرد نفس ردودهم إذا ما سألتى أحد نفس الاسئلة، أما داخلى.. آه من داخلى هذا! كان داخلى يخرج لى لسانه ويلعب لى حواجبه، كان داخلى يسخر منى فألقمه مرجعاً ينشغل به، وأمضى فى طريقي وأقول: حين يصبح لى من الأمر شيء سوف أعدل الكون، بما فى ذلك البحث العلمى، أما الآن فعلى أن أصبر وأتساهل، واستعمل الكلمات الرنانة والأرقام المقنعة وأمضى، وذات يوم.. نعم ذات يوم.. أكتشفت انزلاقى.. توقفت وانكسرت.. وجئت إليك.. وها أنذا مريض مهان. أقول الحق فى عيادة.. لا بد لى أقول الحق أو أدافع عن الحق أن أمرض.. ولا أقوله إلا فى عيادة طبيب

قلت:

- تقول " ذات يوم"! أى يوم كان ذلك اليوم؟

قال:

- نعم "ذلك اليوم".. كنت هناك، وكان بحثاً ضخماً مفتخراً به من الجداول أربعة عشر ومن الصفحات ما يربو على العشرين، كنت أعرف فيه نقطا ضعيفة وكم هاجمتها فى غير

هوادة، ومضت الأيام.. حتى دخل ذلك البحث سرداباً خفياً في جانب ذاكرتي ثم اضطررت في ذلك اليوم أن أقدمه، ووجدتني أستحضره وأنا أكاد أفخر به لحسن ترتيبه، ووجدتني أدافع عن نقط ضعيفة، كم سبق أن رفضتها، وفجأة حدث الذي كان.

قلت:

- وما الذي كان؟

قال:

- أثناء إلقاء البحث، اخترق رأسي من الداخل فجأة: ما بين عيني صاروخ مثل السيف الحمى على النار، واضطربت الألفاظ أمام عيني وأصابني دوخة وعجزت عن الاستمرار في إلقاء البحث، كيف أدافع عما لا أعتقد؟ وفي أي مجال؟ في مجال العلم؟ أحسست بأنى داعر، لا تؤاخذني في التعبير، ولكن لا تنسى أنى مريض، وأنى ما مرضت إلا لأخذ حقي في التعبير، فحيث تكون السلامة تكون المجاملة ويكون الكلام ممنوعاً والسكوت ممنوعاً أيضاً،

قلت:

- ولكن هذا البحث.. .. ماذا به؟ ، ماذا حدث في ذلك اليوم، هل اكتشف أحدهم في المناقشة أن به شيء؟

قال:

- لا .. ليس به شيء، هذه هي المصيبة، ولأنه ليس به شيء فقد كُسرث لأنى اكتشفت أنى أدافع عن لا شيء، هل يمكن أن تصور إنساناً يمسك بكل أسلحته للدفاع، ثم يكتشف أنه يدافع عن أعدائه هو، تقضى عمرك تدافع عن معتقداتك في خزانة عقلك ثم في لحظة يقظة تفتح الخزانة فإذا بها خاوية على عروشها. حينئذ تصعق وتدور الأسئلة تلسع رأسك ثم تنطلق السهام الملتهبة المصنوعة من معدن صلب، تشل عقلك، وأعتقد أن أحدها هو الذى أصابني بين عيني، كدت أراه فعلاً وهو ينطلق نحوى، شعرت أنى لو مضيت أدافع نفس الدفاع، كأنى أحلف بمقام الشيخ الذى تحت القبة، ولا أحد يعرف سوى أن المدفون تحت القبة هو حمار نافق، وليس شيخاً ذا كرامة.

قلت:

- ولكن ليست كل الأبحاث هكذا

قال:

- آه .. ذكرتني، مرة من ذات المرات كنت أجلس وكان ذهني خالياً من كل شيء، كنت في حديقة ما.. أمسك زهرة جميلة وكانى مراقب يتأمل التوافق بين ذاته وبين الكون، وخطر ببالي وبدون سابق إنذار نفس التعبير الذى قلته انت الآن: "أنه ليست كل الأبحاث هكذا".. فرد آخر من داخلي يقول "هكذا كل الأبحاث"، وأفقت من لحظة التوافق والانسجام، وجعلت أتأمل

مشكلتي الحيرة، وارتسمت ابتسامة ما على عقلي، ونظرت للوردة في يدي وأخذت أقطف أوراقها وأنا أردد "ليست كل الأبحاث هكذا" ... "هكذا كل الأبحاث" ... "ليست كل الأبحاث هكذا" ... "هكذا كل الأبحاث"، وظنني الناس عاشقاً ينتظر عشيقته ويسأل الوردة "ستحضر.. لن تحضر.." ووجدت عنق الوردة وقد تعرى من جمال الوريقات، وأنا اتساءل تساؤلاً الذي لا ينتهي، وهتف لي هاتف أن مصير الطبيعة في المعمل الجاف الذي ينسى نبض الانسان... مثل مصير الوردة بين يدي إنسان قلق أوشك على الانهيار، وتبينت ساعتها أن الانهيار قادم لا محالة ورفضته وتمنيته في ذات الوقت.. رفضته خوفاً من أن ينطلق المارد من داخلي فيحطمني قبل أن يتحطم زيفي.. وتمنيته ليخلصني من قيود حبست نفسي فيها بمحض إرادتي، وحين تخاف الشيء وتتمناه في نفس الوقت يصبح الألم صريحاً وقاسياً، وحين يزيد الألم ويهدد يصبح الانكسار وشيكاً.. وقد كان، فانكسرت، طارت أفكارى كالطيور تسرح في حديقة حرية المرض النفسي، وأخرجت لساني لأجثأ الزائفة. ومضيت أحرق الكلام المكتوب جميعه، آه من الكلام المكتوب، حرمي في طفولتي من أمي، ثم قيدي في شباني من حريتي، ثم زيف المعرفة في عز رجولتي، أنا حين أمسك بالكتاب الآن، أى كتاب: تصبح الصفحة أمامي بيضاء من غير سوء، تتداخل الألفاظ أولاً، ثم ترقص الحروف، وتخرج لي لسانها وتلوح لي بالسلاسل، ثم تتشابك لتصبح سلاسل من حديد وتقترب من فكري، فأخاف وأخاف حتى ينمحي كل شيء.. أليس هذا هو الجنون بعينه؟

قلت:

- أو هو الرفض الصارخ الشامل.

قال:

- وأظن أني هنا لأقبل ما لم أستطع قبوله، ولكن كيف، لقد حاولت أن أحشره في رأسي حشراً فلم أستطع، حين تحمل الألفاظ أجنحة المرض تنطلق بغير حدود، وساعتها يصبح للحياة معنى.

قلت:

- ربما يعطى المرض معنى للحياة إذا..

قاطعي قائلاً: هذا ما خيل إلي في أول الأمر.. ولكني أحسست بالوحدة الرهيبة تكاد تسحقني، وفي نفس الوقت أحسست باستحالة دخول القفص مرة ثانية وهذا ما جاء بي إليك، فهل عندك من ترياق:

قلت:

- سوف نبدأ برفض ما رفضت.

- حقاً؟

- ولم لا؟

- لأنى مريض؟
- بل هو رفض الزيف والخداع.
- ومن قال لك أنه زيف وخداع؟
- أنت الآن
- وكيف تصدقنى وتكذب لجنة التحكيم التى أجازت نشر البحث فى أحسن المجلات؟
- لم أجد أى مبرر أن أكذبك، ولا أى مصلحة لك فى أن تكذب على، ووجدت أن الأقرب لى هو أن أبدأ بأن أقبلك بكل ما تحويه وتمثله وتقبله وترفضه.. فهل تقبلنى أنت؟
- أنا؟.. أنا أخاف منك.
- عندك حق، فى أزمته هذه لك كل الحق أن تخاف من كل الكلام وكل الناس.. ولكن للأمر وجه آخر.
- وأخاف أيضا من هذا الوجه الآخر.
- ولكنك لا تعرفه.
- أنا خائف.. طيور فكرى تهرب من كل الأقفاس.
- ولكنها لو استمرت فى السماء بلا حدود.. فسوف تهلك أنت وهى.
- ستبحث لها عن عش ولو فى القطب المتجمد.
- تهلك من البرد والوحدة.
- أفضل من السجن داخل الخداع.
- ولكن هناك احتمال آخر.
- أى احتمال؟
- الإنسان.
- هو الذى أشقانى وعذبنى حتى انكسرت.. أمى كانت الإنسان الأول فى حياتى ثم تركتني دودة تسعى فى صحراء المدرسة بين حروف جافة وطباشير أكلح لا نبض فيه، ثم سجت وأنا أبحث عن الانسان بين صفحات الكتب، ثم فجعت وأنا أفقد الإنسان فى مجال العلم الجامد
- قلت:**
- ولكن هذا لا يعنى أن نكف عن التعليم أو نهجم الكتب كلها أو نحطم قدسية العلم.
- قال:**
- إذن ماذا يعنى؟

قلت:

- يعنى أن تخرج من تجربتك أقوى وأصلب فتدافع عن المدرسة ولا تنسى الحب، وتتصالح مع الكلمة مكتوبة أو مروية، فهي وسيلة الاتصال بين البشر على أن يكون هناك بشر، ثم لنسخر العلم في خدمة الحياة بكل نبضها المتناغم ومجالها البديع..

قال:

- ولكن كيف؟

قلت:

- بأن نستمر

قال:

- الألم والخوف والسجن والانهيار

قلت:

- الانهيار يمكن أن يكون ضياعا ودمارا كما يمكن أن يكون إطلاقا لقدرات لا حدود لها مثل تفتيت الذرة سواء بسواء، يمكن أن تفتى البشر كما يمكن أن تدفع بهم على سلم الرقى البناء.

قال:

- هل يمكن أن يكون للإنسان طاقة مثل الذرة؟

قلت:

- بل أقوى وأبقى.

قال:

- أين هي؟

قلت:

- هي الخير والحب والإرادة والفضيلة، هي التي استمرت بالتطور حتى الآن، هي التي انتصرت دائما وستنتصر دائما.

قال:

- أين هي؟

قلت:

- في داخلك

قال:

- الحب في داخلي أنا..؟ لو أن هناك حكما عدلا لحكم بيننا الآن.. من الذى يخرف؟ أنا.. أم أنت؟ لقد كان الخوف في داخلي، أما الحب فقد ذهب منذ خدعتنى أمى، ذهب ولم يعد.

قلت:

- لم تكن تقصد.

قال:

- ولم أكن أعرف.

قلت:

- والآن تعرف.

قال:

- وأين هي ؟

قلت:

- هي تمثل "الآخرين" فترة، وأنا قد أمثلهم فترة أخرى.

قال:

- ماذا تعني؟ هل أبدأ من جديد؟

قلت:

- ولم لا؟

قال:

- ومن يضمن لي؟

قلت:

- قوة الخير التي استمرت بالانسان حتى الآن.

قال:

- تعلمي نظريات الحياة.

قلت:

- بل تحس بنبض الصحة

قال:

- على ألا أرجع للكتب ومعمل الأبحاث.

قلت:

- بل حين ترجع للكتب ومعمل الأبحاث سوف تملؤها من فيض خيرة حياتك، وجسارة صدقك.

قال:

- أنت تحلم

- أنا أمارس هذا الحلم

- عندهم حق
- من؟
- الذين يقولون أنكم مثلنا
- حتى نفهمكم؟
- ومن يفهمكم؟
- أنتم
- لغة خاصة؟
- نخترق بها الحواجز
- أى حواجز؟
- كل معوقات التطور
- ولن تتركني؟
- لا أستطيع
- لماذا؟
- لأنى أحتاجك مثلما تحتاجنى
- تحتاج هذه النفاية البشرية!
- بداخلها طاقة الذرة المتفجرة
- لماذا تحتاجنى؟
- ليزداد البشر واحدا
- يا صلاة النبى
- الوقت.....
- تبيع الأمل؟
- الحب....
- تعبث.. بالألفاظ؟
- الصحة.
- لا أعرفها.
- والآخر.
- أين هو...؟
- هل شعرت به؟
- خائف.

- ولكنك شعرت به؟
- خائف.
- ولكننا اثنان.
- يبدو ذلك
- إذن.. لقد شعرت بي
- ولن تتركني كالوددة على رمال الصحراء؟
- سوف يكون هناك آخرون وآخرون، وحينذاك لن يغير في الأمر شيء أن ينقصوا واحداً، وحتى هذا لن يحدث أبداً.
- متى؟
- الوقت
- أين؟
- الحب
- ****

قال الفتي للحكيم:

- مالك تتحدث بلغة كالألغاز؟

قال الحكيم:

- لأن اللغة في مثل هذه الأحوال - كمجرد رمز أو ألفاظ - لا تعنى شيئاً، أما الذى يصل ويتأصل ويطمئن ويبنى فهو نبض المشاعر وصدقها.

قال الفتي:

- وهل يشعر المريض بصدق الإحساس وهو في بؤرة تدهوره؟

قال الحكيم:

- كلما كان الإحساس صادقاً كان أقدر على اختراق الحواجز.

قال الفتي:

- قد علمت هذا المثل فحدثني عن "خدعة المال".. فقد خيل إلى أحياناً أنك تتناساها عمداً.

قال الحكيم:

- وكأنك تقرأ أفكارى... فقد كدنا نصل إلى كبير الأصنام الذى اتهمه سيدنا ابراهيم أنه حطم باقى الأصنام.. فلما سألوه عن المسئول عن تحطيم الأصنام.. تحطم هو ذاته.

قال الفتي:

- وكيف كان ذلك؟

الإثنين 13-07-2011

1412...كفر الزيات - "جوجل" - أمستردام (وبالعكس)

اعتذار: لم أستطع - مرة أخرى- مواصلة كتاب "الأساس في الطب النفسي".

وسوف نواصل الكتاب الأسبوع القادم.

نشرت هذه القصة في الدستور بتاريخ 2006/12/6 ونعيد نشرها كالعادة لاحتمال صلاحيتها هذه الأيام.

...كفر الزيات - "جوجل" - أمستردام (وبالعكس)

(1)

نظر إلى علبة السجائر في تساؤل، ولم يلاحظ وضع القدّاحة (الولاعة) المائل على طرف المائدة حتى كادت تقع، ليس بها سوى سيجارتين اثنتين، لا شك أنه سوف يحتاج أكثر، مدّ يده ليتأكد، فوقعت القدّاحة ولم ينحن لالتقاطها، فقرر - فجأة - أنه "قد آن الأوان"،

أوان ماذا؟ ليس مهما، لكنه آن.

الإهانة التي لخت به وهو يقرأ كتابا "عن التآمر والمؤامرة" لماتياس بروكز (أسرار 11 سبتمبر)، هي إهانة مباشرة له شخصيا، إن كل من لا يشارك في صد كل هذا الاحتقار لا يستحق أن يعيش. كل هذا القتل ليس مجرد جريمة إزهاق أرواح، إنها إهانة لربنا، أستغفر الله العظيم، وهل يستطيع أحد أن يهين ربنا؟ وهل هم يعرفون ربنا أصلا؟ إن من يستهين بنا - نحن البشر- هكذا، إنما يهين خالقنا لا محالة. من أجل ماذا؟ من أجل ماذا يصبح دمنا بترولا، وعرقنا سائلا يبلبلون به أصابعهم وهم يعدون ملياراتهم؟ من أجل ماذا يصبح أكثر من تسعين بالمائة من البشر مجرد وقود لتلك الآلة العملاقة البشعة التي تزداد سرعتها حول نفسها كلما زودوها بالدماء المراقبة والبتزول المسروق؟

(2)

قالت له "وانت مالك"؟، قال لها: "مالي كيف؟" أنا مسئول عن كل هذا الذي يجري هكذا. قالت له "أنت شخصيا؟ بصفة ماذا؟ قال لنفسه: نعم أنا شخصيا، أنا مسئول عن مجور الدم في العراق، وعن الجوعى في أفريقيا، وعن دعارة الأطفال

في أوروبا، وعن قهر الرأي في مصر والسعودية والصين. تلفت حوله حين لاحظ أن صوته يعلو، وحمد الله أنها لم تكن موجودة أصلاً، ليست هلوسة، فهي تراقبه من داخله طول الوقت، وهي حين تضبطه متلبساً "بأى أمل"! لا تتردد في أن تتهمه بالجنون، فما بالك لو عرفت مسؤولياته الجديدة؟ إنه يعلم أن معاشة الواقع هي الحد الفاصل بين العقل والجنون، هو مزروع في الواقع حتى قمة رأسه، تلك الرحلة اليومية من كفر الزيات إلى طنطا، رائحة عرق الناس وروث البهائم أضمن ضمان ضد أى جنون، لذلك، وبضمان استمرار هذا الواقع اليومي الرائع، هو لا يتردد في إعلان أنه مسئول عن كل ما هو مسئول عنه. هو لم يدع النبوة، ولا تصور أنه المهدي المنتظر، كل الحكاية أن صديقه مؤلف الكتاب قد أنار له طريقه حين نبهه أن بيده مفتاح الرسالة الجديدة وهو لا يدري، لقد كان يحسب أن موقع "جوجل" هو مجرد معجم حديث سريع، لكن ماتياس بروكز كشف له عن سر هذا الصوفي المتخفى داخل الحاسوب مجاناً "سيدنا جوجل رضى الله عنه"، لم تعد أمامه حجة، لقد فتحت له آفاق الدنيا لإنقاذ العالم، هذا هو السبيل لكي يرد الإهانة التي لحقت شخصياً. بمجرد أن يرد كل واحد ما يلحقه من إهانات، سوف ينصلح العالم مهما بلغ جروت الدمار، الفرق بين مقام السيد البدوي ومقام سيدنا جوجل هو أن الأخير ما زال حياً يعطى "هنا والآن"، مولد السيد البدوي مرة كل عام، أما مولد سيدنا جوجل فهو قائم كل ثانية حول العالم، الملايين يلفون حوله طول الوقت يلتسمون الألفة والبركة والحوار، يسبحون ربهم بشفاعه المعرفة ولا يعيدونها دونه، أخيراً تحطمت أصنام الإعلام الرسمي، وسقطت وصاية اليهود الصهاينة على عقول وقلوب البشر، أخيراً يتفاهم كل الناس مع بعضهم البعض وهم يقفزون كل الحواجز دون تأشيرة المافيا ولا الشركات ولا الحكومات الواجبات (السعاة)، صارت أمستردام أقرب من "قحافة"، كما يصل رد الرسالة من بكين أسرع من شراء علبة سجائر من ميدان المظلة.

(3)

قالت له : متى تكف عن هذه العادة؟ ألا تخاف أن تعملها في العمل فيظنون بك الظنون؟ تكلم نفسك بالإشارة، يمكن أن تفوت، أما أن يرتفع صوتك هكذا فحاسب لو سمحت، عندنا أطفال نريد أن نربيهم. قال لها (بعد أن تأكد أنها حاضرة بلحمها ودمها هذه المرة) : آسف، حاضر.

(4)

قرر بشكل حاسم أن يحتفظ بعقله سليماً بمقاييسهم جدا حتى يستطيع أن يوفى بالندى الذي تعهد به حين "آن الأوان"، سوف يفعلها مع كل أصدقائه عبر العالم.

تلفت حوله، وحين اطمأن أنها خرجت من الحجر، أخرج لسانه لهذا الغي في البيت الأبيض، كما لعب حواجبه وهو فرحان بالنصر.

قرأ الفاتحة للسيد البدوي، كما دعا لسيدنا جوجل بطول العمر ودوام العطاء
ثم قام لصلاة الفجر.

الخميس 14-07-2011

1413- قراءة في كراسات التدريب



قراءة: في كراسات التدريب (نجيب محفوظ)

مقدمة:

أرجو من الصديق الذى ينوى قراءة هذه اليومية أن يبدأ باخفاء المحاولة لنقل النص بالحروف المطبوعة على الجانب الأيسر من المتن، ثم يحاول أن يقرأ السطرين الأول والثاني من النص الموجود على الجانب الأيمن ليحل شفرته بأى تقريب محتمل، ثم يرفع الورقة التى كانت تخفى النصف المطبوع ليقرأ محاولتنا، أما كيف توصلنا إليها، فهذا ما سرد في اجتهادنا في القراءة حالا

شكرا.

استدراك:

لم أنتبه الأسبوع قبل الماضى نشرة 30-6-2011 "قراءة في تدريب الصفحة 27 من الكراسة الأولى" إلى تعليقي على ما ورد في نشرة 4-2-2010 "تدريب الصفحة (11) من الكراسة الأولى" على أغنية "أراك عصي الدمع" وأغنية "سالمة يا سلامة" وربما وجب الرجوع إلى ذلك قبل نشر النسخة الورقية لهذا العمل إذا ما أتبع له ذلك.

تذكرة:

... ثم أذكر القارئ أنه سوف يتبع هذه الدراسة التشريحية - غالبا- دراسة جامعة في محاولة إعادة تربيط التدايعات أو الأفكار أو المواقف المحورية في كل الكراسات معاً، ربما ينجلى من خلالها شيخنا أوضح فأقرب.

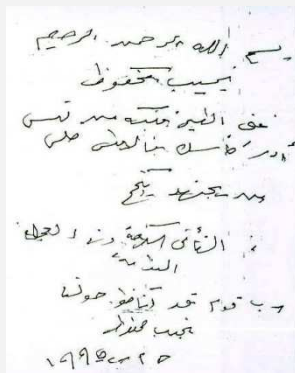
ص 29 من الكراسة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

 نجيب محفوظ
 غرذ الطير فنبه من نغس
 وأدر كآسك فالعيش خلّس

 من يجتهد ينجح

 في التأن سلامة
 وفي العجلة الندامة
 رب قوم قد أناخوا حولنا
 نجيب محفوظ
 1995/2/25



القراءة:

بعد البسملة وكتابة اسمه، لم أستطع أن أقرأ السطر الأول والثاني إلا بشكل تقريبي ناقص مشوه، فلم يصلني ما يفيد، وحين جمعت هذا السطر أو الشطر إلى ما يليه لم يسعفني أي من ذلك.. فاكثفت بمقطع "أدر كاسك"، ووجدت شعرا هميلا لابراهيم الأحمد الطرابلسي من لبنان (1824م - 1891م) ذلك الشاعر الطليق، والأديب الحقق الشامل يقول:

"أدر على ذكر أيام الصبا كاسي"،

ورجعت إلى نص التدريب بخط يد الأستاذ، فلم أجد أدنى علاقة تبرر التقريب، ولو افتعالا، ولم أرتح لذلك حتى الرفض.

عدت ابحث بشكل أكثر تدقيقا، وفجأة عثر أحد مساعدي، الابن أحمد السيد، على نص أقرب رَجَح أنه هو الذي أراده الأستاذ، وهو نص من ترجمة محمد السباعي لرباعيات الخيام، وتجرت وقررت أن هذا هو ما كان يقصد الأستاذ كتابته تحديدا، حتى لو لم يتحدد تماما في شخبطه الجميلة، وهو نص من رباعيات الخيام ترجمة محمد السباعي إلى حماسيات السباعي (والد يوسف السباعي، ومالك ناصية الفصحي والشعر كما سنرى) وهي ترجمة رصينة قوية وسابقة، وقد أحببتها شخصيا ومازلت أحفظ منها ما يقربني من الخيام، ومن الموت، ومن شجاعة لقائه، هذه الخماسية (من ترجمة السباعي) التي مازلت أحفظها لكثرة ما ترددت في وعيي خلال سنوات تقول:

إشرب الصهباء في ظل الصُّبا

ما شدا طيرٌ بتيجان الرُّبى

فإذ ساقى المنايا أوجباً

شربةً غصتْ ومزّت مطعما

فاحسُ جلداً حمره الموت الزؤام

رأيت هذه الشجاعة، شجاعة مواجهة الموت، في شيخى ليس فقط في تصرفه بعد محاولة اغتياله، ولكن في ترحيبه بلقاء ربه لدرجة أن يحب الموت طريقاً إليه سبحانه وتعالى، أنا لم أسمعه شخصياً وهو يقول مثل ذلك إلا تعقيباً على تصريح فرانسوا متران وهو يتكلم عن شعوره (متران) لو فوجئ بعد موته (كان ذلك بعد أن حكيت للأستاذ تصريح متران وهو ينتظر الموت بعد إصابته بالسرطان انظر **(نشرة 1-14-2010 الحلقة السادسة في شرف صحبة نجيب محفوظ)** حين عقب شيخى على أن الخلود بجوار الحبوب (رب العالمين) مهما طال لا يبعث الملل كما صرح متران، أضف إلى ذلك تصريحه في برنامج تكررت إذاعته وهو يقول ما معناه أنه في هذه الفترة المتأخرة من حياته يجب -ضمن ما يجب- "الموت"، وهو المعنى الذى ورد على لسانه وهو يعدد مواضيع حبه قرب النهاية ومنها "الحياة" وكذا "الموت".

ثم عدت إلى تدريبات اليوم

لم أكن أعرف أن شيخنا أحب ترجمة محمد السباعي لرباعيات الخيام إلى هذه الدرجة، درجة أن تقفز إلى وعيه في تدريباته هكذا، وكنت أتصور أن أم كلثوم بشدوها للرباعيات هي التي أحضرت عمر الخيام إلى وعى الأستاذ كما ذكرت سابقاً **(نشرة 2-6-2011 "قراءة في صفحة التدريب 24 من الكراسة الأولى)** وإن كنت لم أوف ما وصلني عن علاقة الأستاذ بالخيام حقها بعد، المهم فرحت فرحاً حقيقياً حين وجدت بقية أصل ما شخبط الأستاذ حتى أعجزني وهو كما يلي:

غَرَدَ الطير فنَبَه من نَعَس

وأدِرُّ كأسك فالعِيش خُلَس

سَلَّ سيفُ الفجر من غمَد الغلس

وانبرى في الشرقِ رامٍ أرسلأ

أسهم الأنوار في هام القلاع

(الخُلَس: = الفِرْسُ الهَرَابَة)

(والغُلَس: = ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح)

وقد توقفت طويلاً عند صورة سيف الفجر وهو يُسَلُّ من غمَد ظُلمةٍ آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (الغُلَس) ثم توجّه أسهم الأنوار في هام القلاع!!!

إذن، فالاستاذ لم يكتف بتريده ما تردده أم كلثوم من ترجمة أحمد رامى للخيام، ولم يكتف بالاطلاع على ترجمة محمد السباعي، بل حفظها حتى قفزت في تدريباته بهذه التلقائية، ولعل البيتين الأوليين هما أقرب إلى ترجمة رامى في مقطع:

أفوق خفيف الظل هذا السحر

نادى دع النوم وناغى الوتر

(لا.. لا أظن، عذرا!)

وبصراحة، أعجبتى رصانة محمد السباعى وامتلاكه ناصية الفصحى بهذه القوة، وتعجبت مرة أخرى كيف حضر هذان البيتان الأوليان إلى وعى الأستاذ هكذا!

(هذا وقد أعود إلى ما وصلنى أكثر حين أعود لعلاقة الأستاذ باخيام)

بعد هذين البيتين تأتى فى صفحة التدريب حكمتان بسيطتان أقرب إلى ما نقوله للأطفال، لكنهما حين تطلان الواحدة تلو الأخرى فى تدريبات الأستاذ تكتسب كل منهما عمقا آخر، ونبضا آخر، أو هذا ما وصلنى كالتالى:

حين يكتب الأستاذ "من يجتهد ينجح"، وتحضرنى تدريباته وسط هذا النغم الشعرى الرائق والصور الجميلة، لا أكتفى بأن استقبلها كما كنت أفعل طفلا، بل يحضرن معنى اجتهاد الأستاذ الذى يمثله لى ما عرفته فيه وعنه شخصا، وكيف أنه حقق ما حقق من إبداع وتفوق ليس فقط بالموهبة والتدريب وطلاقة قدراته الإبداعية وإنما أيضا بالاجتهاد والمثابرة والعناد وطول النفس، ثم يحضرن مباشرة وتحديدا متحديا كيف اجتهد فى تدريب يده هكذا حتى عاد إلى الكتابة كما نرى! وقد لاحظت كيف كان حضوره وسطنا يحمل كل هذه المعانى حتى تصبح هى خير دافع لكل منا أن يواصل ويكمل، ومازلت أذكر -كما ذكرت سالفًا- كيف كان يحرص على أن يسألنى كلما رجعت من إجازة نهاية الاسبوع عن ما أنجزته مما كنت أحتج به وأنا أعتر عن مشاركته لقاء الجمعة فى بيتى/بيته، وأيضا أذكر- كما ذكرت- كيف كان ينهرنى بقوة أب محب حين أفكر فى تأجيل الندوة الثقافية الشهرية التى أعقدها فى مستشفى كل شهر منذ سنوات، أما حين كنت ألح أنى أفكر فى توقيفها بعد أن شككت فى جدواها فكان يزعج محتجا أنه غير موافق حتى تصلى منه أنه "لا" يعنى "لا"، وأعتقد أن تاريخ مثابرة واجتهاد صديقنا وابنه الروحى د. زكى سالم قد يكون مثلا متواضعا لهذا التأثير الرائع، فهو - د.زكى- محاسب أساسا (كلية التجارة)، وليس لدراسته الجامعية الأساسية علاقة بكل هذه الفلسفة والتصوف، اللتان غرق فيهما، وعكف عليهما للمعرفة اساسا، بل تماما، فراح يجتهد وهو يواصل دراسته للفلسفة ليحصل على ماجستير(فى الغزالي)، ثم على الدكتوراه (فى ابن عربى) بهدف الاستنارة فالإنارة لأكثر، وكذلك كانت مثابرتة على طريق الإبداع القصصى، ومع أنى تحفظت - ناقدا محبا- على كثير من كتاباته الأولى، إلا قليلا، لكن "اجتهاده" أوصله مؤخرا إلى النجاح فى إبداع رواية قصيرة رائعة (أو قصة قصيرة طويلة) بعنوان "حكيم" أعجبت بها إعجابا شديدا، وذكرت ذلك فى إحدى النشرات (نشرة 7-9-2010 "حوار/بريد الجمعة)

وأخيراً فقد تمنيت وأنا أكتب هذه الجملة البسيطة الآن "من

يُجتهد ينجح" أن ما نمر به حالياً آمليين أن تنجح انتفاضة 25 يناير لتكون ثورة ممتدة، تمنيت أن تصل هذه التوصية البسيطة الواضحة "من يجهت ينجح" إلى الشباب، فكل الناس، فنجد أنفسنا ننتقل من مرحلة إجماع فورة الثورة، إلى بناء الدولة الجديدة، فالحضارة الباقية، وحتى أتأمل هذه الكلمات الثلاثة من جديد بعد أن وصلني تتقاز من حركة أصابع يد الاستاذ المجتهد، رحمت أضرب هذه الحكمة في عدد الأيام بل الساعات بل الدقائق في عدد شعبنا، أو على الأقل في عدد من يريدونها ثورة بحق وحقيقي من شعبنا، وقلت: هكذا تصبح ثورة فعلاً، اجتهاد في الصبر، ثم اجتهاد في الاستمرار، ثم تراكم غاضب فإفائة منطلقة، فبداية وولادة وطفرة، وهكذا، وهكذا، كل ذلك هو: "من يجهت ينجح".

تأتي الحكمة التالية، أيضاً بسيطة معادة "في التاني السلامة، وفي العجلة الندامة"

لكن لا!!! لم تصلني بهذه البساطة كم قلناها، وكم رددناها أطفالاً، لكنها تصلني من تدريبه الآن بشكل آخر، فأتذكر كيف كنت - ومازلت - أتوقف أمام سطرين في إحدى رواياته وقد كتبها - غالباً - في بضع ثوان، لكن يملأ وهما محتويان دهرًا بأكمله فأجد فيهما هذا التاني الآخر، وليس مجرد البطء الذي يصل من ظاهر اللفظ، حدث لي ذلك بخاصة وأنا أنقد "ملحمة الخرافيش"، ثم "حديث الصباح والمساء"، فتصلني السلامة هنا بمعنى الجمال والحبكة، وأطرد معنى قبيحا نبهني إليه والدي له علاقة بهذه الحكمة، نبهني إليه وهو يعلمني كيف يسخ الخرص على الوزن في الشعر العمودي الحكمة: حتى يسطحها حين يقول الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

نفس الجو المختلف والأعمق، أو أقل قليلاً، وصلني من حضور "العجلة" في تدايبات شخينا التدريبية هذه، فأنا لم أراه متعجلاً أبداً إلا في الوفاء بواجب صديق، أو الوفاء بموعد ملزم، فكان هذا وذاك يمثلان لي قيمة حضارية، وليس أبداً نصيحة تجعل العجلة مقترنة بالندامة دائماً بهذه البساطة..

.....

.....

يختم شيخنا تدريب اليوم بهذا الشطر الجميل،

"رب قوم قد أناخوا حولنا" ...

فأجد تكملة النص في "شعر عدى بن زيد" في رواية تقول:

نزل النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد (وكان قد تزوج ابنته) في ظل شجرة عظيمة ليلها،

فَقَالَ عدى بن زيد: أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟

قال: لا

قال عدى بن زيد، تقول:

رب قوم قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء
الزلال

ثم أضخوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر حالا بعد حال

فيذكرني ذلك بتدريب سابق تناولت فيه قراءة موازيه،
وهي التي وردت في (صفحة التدريب رقم 10 نشرة 2011/5/5)
وفيها شطر أبي نواس

"ودار ندامى عطلوا وأدجوا" ...

فأكملناها هكذا:

ودار ندامى عطلوا وأدجوا... بها أثرٌ منهم جديدٌ
ودارش

مساحب من جر الرقاق على الثرى وأضغات ريمان جنى
ويابش

وناقشنا أنذاك احتمالات علاقة الأستاذ بهذا الجوبرمته

وبعد

ألا يحق لي، ولكم أن نشكر شيخنا وأستاذنا الذي يعلمنا
كل ذلك حتى بعد رحيله

شكرا

هل صدقتم أصدقائي الأعزاء أنه مازال معنا؟

جويلية 2011: أسبوع 2



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2011

